جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

سقوط إمبراطورية سنغاي وآثارها على غرب إفريقيا نهاية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين

مذكرة مقدمة لنيل متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالبتين:

- أمينة جرموني
- فريدة دويسي

إشراف الأستاذ:

* د. نور الدين شعباني

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/ 2020-2021م

الشكـــــــــر والعـــــرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا على إنجاز هذا العمل اقتداء بقول النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** "

نتقدم بالشكر والعرفان والإمتنان لدكتور "**نور الدين شعباني**" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة، فلك منا أسمى عبارات التقدير والإحترام، الشكر موصول إلى كل من درسونا وساعدونا في إتمام هذا البحث سواء توجها أو مناقشة، عبد الوهاب، هداجي رمضان، عبد القادر بن محجوبة، سعيد إدريس إسماعيل، عبد الله بابا ، زينب التومي، غندوز عائشة ،أحمد حماتيت، سارة عزيزي.

كما نتقدم بوافر عبارات التقدير والإحترام للأستاذين الذين رافقانا طوال مشوارنا الجامعي يوسف سليماني وإبراهيم بتقة على حسن توجيهاتهم ونصائحهم القيمة لنا وأطال الله عمركم أساتذتنا الكرام وسدد الله خطاكم وتمنياتنا لكم بدوام الصحة و العافية .

الله ولي التوفيق

الإهـــــــداء

الحمد لله الذي وفقنا وسهل لنا الصعاب وألهمنا القدرة لإنجاز هذا العمل.

نهدي ثمرة جهدنا إلى الوالدين الكريمين إلى الإخوة سند حياتنا إلى الخلان الدائمين

إلى زملاء البحث والمعرفة دفعة إفريقيا جنوب الصحراء2021_2020

إلى كل من ينبض أمانا وحبا لنا.

أمينة و فريدة

قائمة المختصرات:

* د، د، ن: دون دار النشر.

* د، ت: دون تاريخ.

* د، ط: دون طبعة.

* د، ب: دون بلد.

* ق: قرن .

*ج: جزء .

* م : ميلادي .

* هـ: هجري .

* مج: مجلد.

*تر: ترجمة.

مقدمـــــــــة

مقدمة

عرفت منطقة غرب إفريقيا قيام العديد من الممالك والامبراطوريات الاسلامية التي كان لها الفضل في إخراج المنطقة من الوثنية إلى الإسلام، بالإضافة إلى توطيد التواصل بينها وبين باقي العالم الإسلامي.

وعبر محطات تاريخية مهمة مثلت منطقة غرب إفريقيا ميدان حضاري للتلاقح الفكري والثقافي بين مختلف الممالك الإسلامية حتى أصبحت قبلة الكثير من الباحثين المهتمين بدراسة تلك المنطقة.

وخلال الفترة من القرن السادس عشر تحولت غرب إفريقيا إلى الأرضية الخصبة لاحتضان العديد من الممالك، حيث نجحت في تزويد العالم بمختلف العلوم ومظاهر التقدم في شتى المجالات وعلى رأس تلك الممالك التي ظهرت في الأفق هي مملكة سنغاي، حيث بلغت أوج قوتها في القرن السابع ميلادي واتسعت رقعتها ودامت قرابة القرن ونصف القرن تقريبا.

تدهورت اوضاعها ما جعلها تقع تحت الغزو المغربي، هذا ما مهد لعدة اسباب وعوامل ادت بشكل تدريجي إلى ضعف المملكة وانكماشها.

1- أسباب اختيار الموضوع:

أ/الأسباب الذاتيه التي دعتنا للبحث فيه هي:

*الرغبة في المزيد من معرفة مملكة سنغاي والدور الفعال الذي لعبته في غرب إفريقيا.

*الرغبة في إثراء الرصيد المعرفي والإلمام بمستلزمات التحصيل الأكاديمي.

ب/الأسباب الموضوعية :

*ميولنا الشخصي للبحث عن دواعي وأسباب سقوط مملكة سنغاي الإسلامية ومعرف كذلك أثار السلبية التي ألحقها الوجود المغربي على ممالك غرب إفريقيا التي كانت من قبل حاضرة الإ سلام و المسلمين.

2/أهمية الموضوع:

*هذا الموضوع يعتبر حلقة بحث في سلسلة التاريخ الغامض لافريقيا جنوب الصحراء ولابد من دراسته.

*محاولتنا إثارة موضوع تاريخي نهدف من خلاله إيجاد أجوبة عن الأسئلة التي تدور في أذهان العديد من طلبة إفريقيا جنوب الصحراء.

*عدم قناعتنا بالأحكام المسبقة على الموضوع خاصة الكتابات الغربية الاستعمارية التي كتبت بنبوغ من العنصرية ماورد عن تاريخ الشعوب الإفريقية.

3/ اشكالية البحث:

أ/ الاشكالية الرئيسية:

تتمحور الاشكالية الرئيسئة في معرفة أهم الاثار والنتائج التي نتجت عن سقوط مملكة السنغاي الاسلامية جراء الغزو السعدي المغربي الذي كان نقطة سوداء في تاريخ الممالك والشعوب الافريقية بحيث أوقف عجلة التطور والازدهار ووطد أرضية أخرى لبداية عصر إستعماري دخيل .

ب/الاسئلة الفرعية:

وتنقسم عن الاشكالية الرئيسية جملة من الاسئلة الفرعية أهمها:

مملكة سنغاي تعد من أهم القوى الاسلامية التي ظهرت في غرب إفريقيا، فماهي أبرز مضاهرها الحضارية؟ وهل عهد الأساكي يعتبر أزهى عصورها؟

ساهمت عدة عوامل نهاية القرن السادس عشر ميلادي في ضعف مملكة السنغاي، فيما تكمن هذه العوامل؟ وهل يعتبر عامل التحرشات المغربية عامل أساسي على غرار العوامل الأخرى؟ وكيف كانت نتائج سقوط مملكة السنغاي على غرب إفريقيا ؟

وهل كان لسقوط حكم الأ ساكي أثر في تاريخ الاسلام والمسلمين هناك؟ و هل سقوط مملكة سنغاي أدى إلى بداية الغزو الأوروبي على منطقة غرب إفريقيا أم هناك عوامل أخرى ساهمت في ذلك؟

4/منهج الدراسة :

اتبعنا في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي مع الإلتزام بالترتيب الموضوعي ومراعاة التسلسل الزمني للاحداث، مع التحليل والتمحيص والشرح والاستنباط .

5/خطة الدراسة:

ومن اجل خوض غمار بحثنا هذا وإثرائه اعتمدنا خطة مكونة من:

الفصل الاول: فقد عنوناه بالتطور التاريخي لمملكة سنغاي، وأهم ما تطرقنا إليه في هذا الفصل هو إعطاء صورة عامة عن مملكة سنغاي من حيث التأسيس وعن أهم الأسر التي حكمت مملكة

سنغاي، بالإضافة إلى الحديث عن مملكة سنغاي في عهد الأسقين وأهم ما ميزها من حيث القوة والضعف.

أما **الفصل الثاني:** فقد خصصنا الدراسة فيه عن أسباب وعوامل ضعف مملكة سنغاي بالإضافة إلى التطرق لأزمة الملح وبداية التحرشات المغربيه من خلال الغزو المغربي وأهم نتائجه.

أما **الفصل الثالث:** ويعتبر آخر الفصول جاء بعنوان تداعيات ونتائج سقوط سنغاي وأثارها على غرب إفريقيا، وأهم النقاط التي سلطنا عليها الضوء أكثر ذكر الأسباب السياسية والثقافية والاقتصادية التي أدت إلى سقوط مملكة سنغاي.

6/القائمة البيبلو غرافية:

لإ نجاز هذه الدراسة إعتمدنا على جملة من المصاد والمراجع والمجلات والدراسات السابقة، التي تساعدنا في بلوغ الأ هداف المسطورة وعليه سنذكر منها :

سكينة بويكي الحياة بمملكة الهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م ،أما الدراسة الثانية المتمثلة في مولاي محمد نضام القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي في القرن 9هجري حتى القرن 19م / 15هـ 18م

واعتمدناعلى مجموعة من المصادر أهمها تاريخ السودان لمؤلفه عبد الرحمان السعدي الذي يعتبر مصدر مهم في تاريخ السودان الغربي حيث تحدث عن مملكة سنغاي ومالي ونشأة حاضرة تنبكت وتطرق الى ذكر قبائل الطوارق والفولاني وحملة المنصور الذهبي على سنغاي وحكم بشوات المرب الاقصى لها كما ترجم السعدي الكثير من أعلام السودان الغربي، كذلك اعتمدنا تاريخ الفتاش لمؤلفه محمود كعت الذي أرخ فيه لمملكة سنغاي في عهد الأسقين متحدثا عن تنبكت وحملة المنصور الذهبي عليها وأيضا مصدر آخر لا يقل أهمية عن سابقيه وصف إفريقيا لحسن الوزان المعروف بليون الأفريقي في إقليم توات بتيجورارين وسماه بتيكورارين حيث ذكر قصوره والذي زار حسن الوزان بلاد السودان الغربي تحدث عن تنبكت وزادها العلمي والتجاري وزار ولاتة وجني ومالي وكتسينا وبورنو ...إضافة إلى تطرقه لتجارة القوافل القادمة من الشمال نحو إفريقيا جنوب الصحراء والصعوبات التي واجهها من ندرة المياه وهجمات قطاع الطرق، وعلاوة على ذلك اعتمدنا على نيل الابتهاج بتطريز الدباج لمؤلفه أحمد بابا تنبكتي وهو عبارة عن معجم لتراجم العلماء والأعلام في كل من المغرب والأندلس وبلاد السودان الغربي خلال القرنين10-11هـ/16-17م، كما اعتمدنا على كتاب آخر أسئِلة الأسقية وأجوبة

المغلي لعبد الكريم المغلي فقد تكلم هذا المصدر عن رحلاته واعتمدنا عليه في التعريف بالأ سكية محمد ، فهذه كانت أهم المصادر كما إستعنا لمجموعة من المراجع التي ساعدتنا في إيفاء عناصر هذه الدراسة أهمها وأبرزها مذكرة منها: فقد أعطى كتاب الوثنية والإسلام تاريخ إمبراطورية الزنجية عن غرب افريقيا ليمادهو بانيكار للموضوع حقه فقد خصص جزء لمملكة سنغاي ، أيضا كتاب دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء لعطية مخزوم الفيتوري قد غطى هذا المرجع كل الجوانب السياسية والاجتماعية كما استعملنا كتاب تاريخ نيجيريا للمؤلف أدم عبد الله ألوري فهذا كتاب عبارة عن قاموس صغير يحتوي على معلومات كثيرة عن نيجيريا وقبائلها وأفادنا في التعرف على الموقع الجغرافي لمملكة سنغاي.

7/ صعوبات الدراسة :

ولعل أهم ما وجهنا كا صعوبات مثل غيرنا من الباحثين والدارسين نذكر :

·وجود صعوبة في البحث عن المادة العلمية المتخصصة في هذا الموضوع نظر لأن المكتبة الجامعية لا تتوفر على معظم المصادر.

·إيجاد صعوبة في الترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية مما إستغرق منا وقت أطول.

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة لمجال البحث العلمي لتاريخ الحضاري الإسلامي لإفريقيا جنوب الصحراء ودافعا لدراسات جديدة وأعمق في مجال الأسر والعائلات الحاكمة الإفريقية ونترك الحكم في عملنا هذا للجنة العلمية التي تفضلت علينا بقراءة هذا العمل ونتمنى أن تقوم بتصويب أخطائنا وتوجهنا إلى ما ينفع بالتوجهات السديدة فلكم منا كل التقدير والإحترام.

الفصل الأول

التطور التاريخي لمملكة سنغاي

تمهيد

تعتبر مملكة سنغاي من أهم الممالك التي كان لها شأنا عظيما على غرار الممالك السودانية التي سبقتها، حيث استطاعت مد نفوذها والسيطرة على المنطقة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لتخرج بذلك من حيز الممالك الصغيرة محدودة في المكان والخاضعة لسيطرة الممالك الأخرى إلى تصنيف الممالك القوية المنظمة سياسيا والقوية عسكريا، وذلك من خلال عظم ملوكها وتنوعهم وقدرتهم على قيادتها وهو ما نتناوله في هذا الفصل.

أولا: التأسيس.

وردت كلمة سنغاي في المصادر والمراجع بعدة صيغ فذكرها كل من السعدي وكعت سنغى[1] ووردت في المراجع بأسماء مختلفة... وعليه فإن شعب سنغاي منحدر من أصل مزيج بين صنهاجة والفولاني والطوارق والعجم وهو إقليم ظهر فيه الخير والبركة وانتشر فيهم الإسلام وكثرة العلماء [2]، ومما سجلته الرواية الشفوية أن أصل سنغاي من داندي شمالي الداهومي ثم سار مع نهر النيجر حتى وصل إلى منطقة كوكيا ذات الخيرات الوفيرة فاستقر بها [3].

كما ذكر صاحب الفتاش « **إن جد سنغاي وجد** "**ونكر**" كان أخوين وأن أباهم كان ملكا من ملوك اليمن اسمه "تراس ابن هارون ولما توفي خلفه أخوه" **يسرف ابن هارون**" فضيق الخناق على أبناء أخيه أشد تضيق فهاجرو من اليمن إلى ساحل البحر المحيط ومعهم زوجاتهم وجدو هنالك *عفريتا من الجن فسألوه عن اسمه "**روبن سار**" فقال ما جاء بك إلى هذا المكان فقال يقال* له تكرور إلى أن أورد اسم كبيرهم الرجال المذكورين يدعى "**عكرى**" واسم الرجل الثاني "**سغي بن براس**" وزوجته "**سارة بنت وهب**" وهو جد قبيلة "**سغي**" والثالث اسمه "**ونكر**" وكان أصغرهم وليس له زوجة وكان له أمتان احدهما تدعى "**سكرى**" والأخرى "**كسرى**" وهي سرية له وكان جد قبيلة "**ونكر**" عبد يدعى "**بمنيك**" وإلى أباءهم نسبوا ثم تفرقوا في الأرض وكان كبيرهم "**وعكرى**" سلطانهم وسموه "**كيغ**" ويعني في كلامهم مال الأرض بمعنى سنغاي من "**تراس**"[4] .

---

[1] عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان**، (د ط)،تحقيق هوداس ، (د،د،ن)،باريس،1981، ص2 ، **للمزيد انظر** ، محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس** ،ط1،(د،د،ن)،(د،ب)،1982،ص30.

[2] سكينة بويكي، **الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر** ، رسالة ماجيستر في تاريخ و الحضارة الإسلامية ، الجزائر ، 2003، ص 33.

[3] الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي في الصحراء نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 16م**، ط1، دار المصرية اللبنانية، لبنان، 1999، ص92.

[4] كعت ، مصدر سابق ، ص ص 24 26 .

أما حسن الوزان المغربي هو الآخر الذي سجل لنا معلومات تاريخية " **سنغاي هي حدود الغابات قبيلة كانت تسكن النيجر حول الاستوائيّة ثم نزحت إلى الشمال وهم أناس في غاية السود والخصبة**" [1] .

دراسة طبيعة الموقع الجغرافي.

بلغت إمبراطورية غانة ومالي شأن عظيم واستطاعت السيطرة على نطاق واسع من مناطق إفريقيا (مناطق غرب السودان، جنوب الصحراء)، وأيا من هاتين إمبراطوريتين لم تبلغه مما بلغته إمبراطورية سنغاي من القوة والسيطرة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين [2] .

ومما هو جدير بالذكر أن بلاد السنغاي تشغل غرب الساحل الإفريقي بناحية بلاد الداهومي وفولتا العليا إلى جهات بوسا بشمال نيجيريا وكانت عاصمتها مدينة غاو[3]، وحاليا تقع شمال مايسمى البنين وبوركينافاسو وغرب النيجر وامتدت في الشرق إلى أطراف غامبيا والسنغال [4] .

ثانيا: أصل عائلة" زا" :

تعددت الروايات حول أصل تلك القبيلة ومكان قدومها [5]، فمنها رواية أوردها السعدي مفادها أن أخوان خرجا من اليمن سائرين في أرض الله وقد بلغا بئسا الحال حتى كادت صفة البشرية أن تزول عنهما فوصلا إلى جاو، وكان أهلها يعبدون شيطانا تهيأ لهم

[1] حسن الوزان ,بن محمد الفاسي ، **وصف إفريقيا** ، ط2،ج2، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1923, ص162.

[2] جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، مختار السويفي، ط1، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني لنشر والتوزيع القاهرة ، بيروت، 1984،ص81.

[3] عبد الله ألوري ، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي** ، تقديم عبد الحفيظ أولاد سو، مكتبة الإسكندرية ، مكتبة الكتاب اللبناني ، بيروت ، 2014، ص37.

[4] محمد فاضل علي باري، سعد إبراهيم كردية ، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص110.

[5] إذ يذكرها السعدي ب اسم " زا " وأنها محرفة من كلمة جاء العربية، فغيروا اللفظ لصعوبة النطق بها، أما كعت ذكرها باسم (جع، دع) ومنها حولتها الكتابات الأجنبية إلى ديا، ولما نقلوها عنهم حولوها إلى ضياء في اعتقادهم هو الأقرب، **للمزيد أنظر**، السعدي، مصدر سابق ص4، كعت، مصدر سابق، ص 40.

في صورة حوت فيظهر لهم في أوقات معلومة فيجتمعون إليه ويعبدونه فعزمو على قتله فرماه بالحديد في يوم الحضور فقتله، فبايعه أهل سنغاي ملكا عليهم ولما سألوه من أين جاء فقال من اليمن فأصبح يلقب ب" **زا الأيمن** "[1] .

أما كعت فيذكر أن أصلهم امرأتان من الأسباط خرجتا يوما إلى جناحهما وأصابهما العطش، وكان لأكبرهما ابن مراهق فيذهب يطلب الماء لهما، فكان أول من لقبه خالته وطلبت أن يسقيها وأبى عليها إلا أن تشرب أمه فذهب ليسقى أمه فسألته هل سقيت خالتك، قال لا وغضبت عليه وطردته فحزن وطرح نفسه في الصحراء تم تتبعته خالته تتبع أثره وظلت الطريق حتى وقفت بيد أحد النصارى فتزوجها وأنجبت له بنتا وولدا، ولما بلغا أشدهما حكت لهما خالتهما حالتها وسبب خروجها من المدينة فذهبت للبحث عن أخيهما فوجدوه بكاغو أين وجدو أهلها يخضعون لسلطة الحوت الكبير يخرج في وقت الضحى فقتل كبيرهم ثم بايعوه ملكا لهم[2].

وفي الأخير نلاحظ أن هناك تشابه كبير فيما أورده كل من الفتاش وكعت، أما الدالي فيذكر اعتمادا على مخطوطه فتح الحنان المنان، أنهم ينتسبون إلى قبيلة سنغاي التي كانت تقطن على ضفاف نهر النيل الأوسط في الفترة مابين القرنين السابع والتاسع للميلاديين، حين غزت قبيلة ضياء وأسست أسرة التي نزحت من طرابلس الغرب، ونشأت بينهما وبين السكان الأصليين علاقات مصاهرة[3] .

فمهما يكن من الأمر فإن الشيء الذي يمكن أن نفهمه من هذه المصادر، أن المؤسس الأول للعائلة هو رجل قدم من شرق نهر النيجر، حسب السعدي إن هذه العائلة قد استقرت في منطقة كوكيا(koukia) ، أو غونيا (GunGuia) أو كوغة التي سبق ذكرها

[1] سعدي، المصدر سابق، ص 4.

[2] كعت، مصدر سابق، ص ص 27 30.

[3] الدالي ،مرجع سابق، ص 91.

في وقت قديم يعود إلى القرن 8 م [1]، رغم كل ما ذكر إلا أن السعدي لم يحدد تاريخ وصولهما إلى كوكيا، وهذا ما نفهمه من معنى كلامه «ولا نعرف تاريخ خروجهما من اليمن، ولا وصوله إليهم، ولا ما هو اسمه، وبقي اللفظ متداول له وللملوك بعده[2]، وعموما فإن إسم العائلة استمد من كلمة جاء من اليمن التي تحولت إلى زا الأيمن.

مرحلة التأسيس:

امتدت المرحلة الأولى في تاريخ سنغاي من القرن 7م الى القرن 11م بتولي قبيلة زا (ديا) الحكم في مدينة كوكيا وذالك عندما كانت جماعة من السكان وهم الصيادون النهريون المعروفون بالسركو sorho تستغل سهولة الموصلات النهرية بفضل قوارب الصيد لفرض سيطرتهم السياسية على نظائرهم من السنغاي المزارعين المعروفون باسم"**غبيبي** " **Gbibi** حيث كانت عشائر السوركو تشن هجمات وغزوات على جيرانهم الفلاحين فيلجئون إلى هذه الطريقة لتوفير غذائهم ووبذالك أقامت عدة مستواطنات على طول ضفة نهر النيجر فارضين سيطرتهم على المزارعين وتوغلو شمالا حتى وصلوا إلى منطقة كوكيا[3].

وفي حوالي 81هـ/700هاجرت جماعات من قبائل البربرية إلى مناطق الفلاحين واستطاع أحد أفرادها واسمه "**زا اليمن**" أن يهاجم الصيادين في مكان يختافون به ويطردونهم بعيدا إلى الشمال ففرح فلاحو سنغاي بهذا البطل ونصبوه ملكا عليهم [4] واستطاعو أن يأسسو أسرة حاكمة تسمى أسرة "**ديا**" التي ظلت تحكم هذه الأرض حتى 726هـ 1325م وقد اتخذو كوكيا حاضرة لهم وقد قدر لشعب هذه الدويلة أن يؤدي نفس الدور الذي أداه شعب الماندنجو (مالي) ويؤسسوا دولة تشبه الدول السابقة في الكثير من مضاهر قيامها وتوسعها ثم انحدارها وقد نمت علاقات البلاد التجارية مع غانة وتونس وبرقة ومصر عن طريق

---

[1] إبراهيم علي طرخان ، " **دراسات في تاريخ إفريقية قبل عصر الاستعمار إمبراطورية سنغاي الإسلامية** "، مجلة الرياض، كلية الآداب، السعودية، مج8، 1981، ص53.

[2] السعدي، مصدر سابق، ص5.

[3] نور الدين شعباني ، **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، الجزائر، (د، ت)، ص 61.

[4] محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كردية، مرجع سابق ص 110.

تادمكة التي تعد مركزا مهما لطرق القوافل وكانت لهذه العلاقات أثر بعيد في تحول أحد ملوكها الإسلام[1] .

وفي هذا الصدد يذكر السعدي أن أول من تملك فيها من ملوك "**زا اليمن**" ثم "**زا زكي**" ثم " **زا تكي**"... وهؤلاء أربعة عشر ملكا ماتو في الجاهلية وما آمن أحد منهم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والذي أسلم منهم" **زا كوسي**" الذي يقال في كلامهم "**مسلم دم**" ومعناه أسلم طوعا بلا إكراه وذلك في سنة أربعمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم [2] .

وعلى إثر ذلك تم تحويل عاصمتها إلى" **جاو** "والتى كانت تعرف بعدة أسماء هي كوكيا، كوكو، كاغ، جاع...، وكانت هذه الأسماء تطلق على كامل المملكة إذ يذكرها الحموي باسم كوكو « **الإقليم وهو إسم أمه في بلاد من السودان، قال المهبلي كوكو من الأول وعرش درج وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام وله مدينة على النيل سكنها هو ورجال ثقاته وبها مسجد يصلي فيه ومصلى الجماعة بين المدينتين وله في مدينته قصوة لا يسكنه... وجميهم مسلمون وزي ملكهم ورؤساء أصحابه القمصان والعمائم ويركبون الخيول...**» [3] وفي نفس الصدد يذكر اليعقوبي «**إنها من أعظم ملوك وأجلها قدرا واعظمها** لمملكة **أمرا وكل الممالك يعطي لمكلها الطاعة وهناك عدة ممالك يعطون الطاعة ويقرون له بالرئاسة على إنهم ملوك بلدهم، مملكة موز، صنهاجة، الهرير...وكلهم ينسبون كوكو**».[4]

وعلاوة على ذلك وصفها الإدريسي:«**ومدينة كوكو مدينة مشهورة الذكر من بلاد** كثير من السودان **السودان الكبيرة وهي ضفة النهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومن شرب أهلها، ويذكر، أن مدينة كوكو على ضفة الخليج، وذكر قوم آخرون أنها نهر يمد**

[1] عبد الرحمان النجري، **حركة التجارة والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وأثارها الحضارية**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998، ص225.

[2] السعدي، مصدر سابق، ص113.

[3] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ص495.

[4] اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج1، منشورات المكتبة الحيدرية وطبعتها في النجف، (د، ب) ، 1964، ص168.

النيل والذي صح من القول أن هذا النهر يجري حتى يجور كوكيا بأيام كثيرة ثم يغوص وأجناد وزي كامل الصحراء.....، ثم إن ملك كوكو قام بذاته خاطب لنفسه وله حشم كبير ودخله كبيرة وقواد وأجناد لمن جاورهم من الأمم»[1]

دخول الإسلام إلى جاو:

من المتعارف عليه أن الإسلام بدأ يتسرب بين شعب السنغاي في ظروف مواتيه لنفس الظروف التي تسرب فيها بين شعبي غانة ومالي وغيرهما من شعوب السودان الغربي، وليس ببعيد أن تكون هذه المناطق تلقت بعض المؤثرات الإسلامية عن طريق العلاقات التجارية التي نشات بين بلاد المغرب العربي، أو عن طريق هجرات قبائل الرعوية وتحركاتها سواء كانت عربية أو بربرية، أو عن طريق الدعاة الذين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق[2].

و بطبيعة الحال عمل هؤلاء التجار على نشر الدعوة الإسلامية، إذ كانوا يرون أن انتشار الإسلام تدعيما لتوسعاتهم وفي هذا المقام نشطت الحركة التجارية وزحفت جنبا إلى جنب مع الدعوة الإسلامية في جاو ومجاورها وعليه قسمت المدينة إلى قسمين، قسم يسكنه المسلمين، وقسم آخر يسكنه الوثنين[3].

وما كشفته لنا المصادر الأثرية أنه تم العثور على آثار إسلامية في مدينة "**سين** sun"على بعد أربعة أميال من العاصمة جاو، وذلك خلال عمليات الحفر **الله** وهو الآن في التى تمت حديثا 1939، ومن هذه الآثار شاهد عليه « **دين رعاية الله هنا جثمان الملك أبي عبد الله بن محمد الذي دافع عن هورحمته»**، ويضيف النص أنه مات سنة 494هـ، 1100م[4].

---

[1] الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002،ص28.

[2] محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كردية، مرجع سابق، ص112.

[3] إبراهيم علي طرخان، مرجع سابق ص12.

[4] عثمان بريما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، ط1، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 2000،ص45.

وتماشيا مع ما تم ذكره ظهرت مملكة مالي في أواخر القرن 13 م كقوة مسيطرة على مسرح الأحداث وفيها خضعت سنغاي لسيطرة على مخازن الذهب في منطقة الأكان من جني إلى تنبكت، ومن جاو إلى تادمكة، وذلك لأن إنتاج الذهب في يوري بدأ يضعف ابتداءا من منتصف القرن 13م ولهذا حرص ملوك مالي للسيطرة على تلك المنطقة[1].

وخلال حكم مملكة مالي الإسلامية التي عرفت أوج ازدهارها في القرن 14م كانت جاو إمارة تابعة في الولاء والطاعة لمملكة مالي في عهد ملكها "**منسى علي أو منسى ألي**"، الذي أخذ معه أمراء جاو، "**علي كولين**" و"**سليمان نار**" كرهائن ومع مرور الوقت بلغا أشدهما فكان علي كولين يقوم بجولات خارج أسوار "**مدينة نياني**" خفية، وبدأ يتعرف على الطريق شيئاً فشيئا (الطريق المؤدي إلى جاو)، ثم بدأ بتجهيز نفسه وأعد جيشا بعيدا عن أعين مالي، ثم أخبر أخاه سليمان نار بالخطة فاتفقا، ولما حان الوقت المناسب هربا، ولما تفطن لهما سلطان مالي جعل رجالا يتتبعان أثرهما وتقاتل الجيشان في الطريق فتمكن علي كولن وأخوه من الوصول إلى سنغاي ودخلا منتصرين، فنصب "**علي كولن** "نفسه ملكا عليهم وقطع صلته بملك مالي، ولقب نفسه "**سني علي**" ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة في حكم سنغاي [2] .

وتعد أسرة سني هي الأسرة الثانية التي حكمت بعد زا الأيمن، وأهم حكام هذه الأسرة سني علي 663هـ-898هـ/1464-1498م[3] ، وحسب صاحب الفتاش أنه بقي في الحكم

---

[1] عز الدين عمر موسى، **دراسات إسلامية في غرب إفريقيا**، (د، ط) ، دار الغرب الإسلامي، الرياض (د، ت) ، ص77.

[2] الحاج موسى احمد كامرة ، **زهور البساتين في تاريخ السودانيين** ، شعوب غرب إفريقيا في التاريخ والأسباب والأنثروبولوجيا ، (د، ط) ، تقديم وتحقيق ناصر الدين سعيدوني ، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الإيداع الشعري،الكويت ، 2010، ص ص 173 174.

[3] وقد حكم من هذه الأسرة سني علي كولن، سليمان نار، سني إبراهيم كبسي، سني عثمان كنف، سنى موسى، سني بكر زنك، سني بكردلابيب، سني ماركري، سني محمد داع..... واشتهر منهم سني علي وهو ابن سليمان دم وينتسب إلى أسرة ضياء التي نزحت من طرابلس الغرب، واستقرت في تلك الأماكن وتربى في بيت أخواله بعد أن فارق والده فكانت له شخصية متمثلة في تعلم الفروسية وفنون القتال وحظي بمكانة مرموقة في المجتمع السوداني، **للمزيد أنظر** إبراهيم علي

حوالي سبعة وعشرون سنة وأربعة أشهر وثلاث وعشرون يوما[1] ، وقد أشتهر بلقب دالي وهو لقب تعظيم فإذا نادى سني علي أحد من رعاياه أو جنوده أجابه على الفور بكلمة "**تعالى**"، وقد علق أحد العلماء الفولانين أنه لا يجوز أن يلقب أحد به لأن" **معناه الله تعالى**"، وكذلك لقب "**بدلتا** "ومعناه "**عبد المولى**"[2] .

وقد وصفة السعدي قائلا: « **كان ذو قوة ومتانة جسمية ظالما، فاسقا متسلطا سفكا للدماء، وقتل من الخلق ما يحصيه إلا الله وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإذلال**»[3]، ومن أخلاقه أنه كان يأمر بقتل الإنسان ولو كان أعز الناس عنده بلا سبب ثم يندم على بعضهم، وإذا كان المأمور بالقتل ممن سيندم عليه ادخره أتباعه ومتى أظهر الندامة قالوا له حفظناه لك ولم يمت فيفرح ساعته[4].

أول عمل قام به التخلص من أعدائه ومن تم عمل على تحسين أوضاع المملكة وتكوينها والصعود بها إلى مصاف الإمبراطوريات المتقدمة ليتمكن في فترة وجيزة من إحداث نقلة نوعية في تاريخ المملكة وتحويلها مجرد دويلة صغيرة إلى إمبراطورية قوية[5].

وكما أنشأ محكمة يحكم فيها على الخارجين عن طاعته، كما قام أيضا بإنشاء دواوين منها بيت المال الذي جعل عليه أمينا وحارسا مهمتهما الحفاظ عليه، أما أمور القضاء قلده قاضي حبيب، وأما وضيفة القارئ والكاتب أسندها إلى إبراهيم الخضر مهمته قراءة الرسائل الواردة من فاس والرد عليها[6].

طرخان، "أسرة الأساكي وذروة مجد إمبراطورية سنغاي الأسكيا الأكبر، مجلد 8، ص89، ا لدالي، مرجع سابق، ص ص 98 99.

[1] كعت، مصدر سابق ص 65.

[2] إبراهيم علي طرخان، دراسات في تاريخ الإفريقية.... مرجع سابق، ص 18.

[3] السعدي، مصدر سابق، ص 64.

[4] كعت، مصدر سابق، ص, ص 67 68 .

[5] رشيدة السعيدي ، **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا إمبراطورية سنغاي نموذجا** ، النشأة والتطور ، مجلة الدراسات الإسلامية والاجتماعية المجلد2، العدد1، 2018 ص177.

[6] الدالي، مرجع سابق، ص100 .

كما لا يفوتنا أن ننوه في خدمته لتطوير الجيش وتزويده بالعتاد والعدة، بالإضافة إلى أسطول بحري الذي كان سببا في انتصاره في كل المعارك[1]، فهو بالذات لم يتخذ مقرا واحدا للحكم، بل ظل منتقلا مثيرا للرعب في أنحاء المملكة بعد ذلك أصبح يتطلع للاستلاء على المدن التجارية الكبرى كمدينة جني وتنبكت اللذان كانت لهم علاقات تجارية مع تجار الصحراء وبلاد المغرب حيث كون جيش وسار إلى تنبكت التي استولى عليها سنة 873هـ_1488م[2].

ثم توجه بأنظاره إلى مدينة جني[3] ،بعدها اتجه إلى مملكة الموشي (الموسي) وضمها لمملكة ثم تقدم نحو الشرق وهاجم بعض إمارات الهوسا، فخضعت له كاستينا غوبير، كانو، زنفرة، كما اتسع غربا فأخضع كل البلاد الماندينجو والفولاني وشمالا حتى موطن التوارك(الطوارق) وبهذا قد أصبحت إمبراطورية ابتداءا بهذا الملك[4].

وعليه عرفت فترة حكم "**سني علي**" نهضة اقتصادية من خلال عمله على تشجيع الزراعة وبناء السدود وتطوير التجارة ومعاملة الأعيان معاملة حسنة حفاظا على الوضع

---

[1] كان هذا الجيش مكون من شرائح المجتمع السوداني وكان على رأسه ابنه أبو بكر داعو وابن خالته أبو بكر التوري (الأسكية محمد) بالإضافة إلى مختار لبن نص، **للمزيد أنظر**: الدالي، مرجع سابق ، ص100.

[2] فقام بذبح كل سكان المدينة دون أن يكون لهم دخل أو علاقة مع حكام المدينة وسكانها بالرغم من أنه كان حاكما مسلما، إذ يذكر السعدي أنه عمل فيه فسادا عظيما جسيما بالعلماء وهدا راجع إلى تربيته ونشأته، فهو تربي في بلدة ألفارو (alform) التي كان أهلها مسلمون إسلاما سطحيا وكانت متجذرة فيهم التقاليد والممارسات الوثنية، فكانوا يتضايقون جدا من انتقادات وتوجيهات وإرشادات ومواعظ العلماء وفقهائهم، كما أن علماء تنكبت كانوا قد انظموا إلى زعيم الطوارق العقيل "**ملاول**" في حرب ضد سني علي واستنجدوا بهم وهو ما جعله يحقد عليهم، **للمزيد أنظر**،جوان جوزيف، مرجع سابق، ص83، نور الدين شعباني، **مملكة سنغاي في عهد عائلة زا أو ديا**، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 11،الجزائر، 2016،ص59.

[3] بعد محاولات عديدة تمثلت في خضوعها لمدة سبع أيام وسبع شهور متصلة، إلا أن فتحت المدينة أبوابها واستسلمت ودخلها لكنه لم يفعل بها مثلما فعل بتنبكت بعد غزوها، بل بالعكس تزوج أم الملك الصغير الذي كان يحكم المدينة وعقدت بينهما صداقات، **للمزيد أنظر**، جوان جوزيف، مرجع سابق، ص74.

[4] محمد مولاي، **القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثامن عشر هجري**، أطروحة دكتوراه علوم في تاريخ والحضارة الإسلامية، 2018، 2019، ص27 .

الاقتصادي[1]، بعد وفاة سني علي خلفه ابنه "**أبو بكر داعو**"، غير أنه لم يرتقى إلى مستوى شخصية والده، إذ سرعان ما ثار ضده "**محمد بن أبي بكر التوري**" وانتهت المعركة بهزيمة "**أبو بكر داعو**"[2].

بعد ذلك شيع الخبر إلى بنات سني علي على هزيمة شقيقهم أمام خصمه وقولهن "**الأسكيا إلا هو**" يعني" **لا يكون له الملك**" ولما سمع أسكيا مقولتهن أصر أن يتخذ لقب "**الأسكية** "له وللملوك بعده، وبذلك بدأ عهد أسرة جديدة اتخذت لقب الأسكية[3].

[1] أبو بكر إسماعيل ميغا، **نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك أسكيا**، مجلة الدار، مجلد 2، من العدد الأول إلى العدد الرابع، دار الملط عبد العزيز، 2000، ص178.

[2] توفى سني علي 1492م حين كان عائدا من احدى غزواته حيث انطلق عليه سهم في الطريق فأهلكه فشق أولاده بطنه واخرجوا أحشائه وملاؤها عسلا، وهناك رواية أخرى يذكرها كعت أن الموت اهلكه فجأة بينما كان خارج مدينته، فلما تحقق الجند من موته دفنوه في مكانه ولم يوشع احد بموته من أهل ذلك البلد، **للمزيد أنظر**، السعدي، مصدر سابق ص 74، كعت، مصدر سابق، ص 51.

[3] الدالي، مرجع سابق ص 112.

ثالثا: عهد الأسقين.

أ_ مرحلة القوة :(عهد أسكيا محمد التوري 899-934هـ/1423-1528م)

مما رصدته لنا الكتابات التاريخية في هذه الفترة أن مملكة سنغاي عرفت أزهى عصور لها في عهد الأساكي، وهذا ما سنتطرق إليه، كما أن هناك اختلاف في أصل ونسب أسكيا محمد إذ يرى المغيلي في كتابه أسئلة الأسقية... أنه من أصل "**سيراكولي**" [1].

بينما يرى سعد غيث مطير أحمد في كتابه الثقافة العربية الإسلامية... أنه من أسرة صنهاجة وأن أجداده الأوائل قد هاجرو موريتانيا أواخر القرن 5هـ 11م بسبب حركة المرابطين، وقد سكنت أسرته منطقة النيجر الأوسط وتمازجت مع قبائل سنغاي[2] ، أما المستشرق "**روبن هاليت**" قال :"**أنه زنجي من جماعة السوننكي**" [3]،أما صاحب الفتاش أنه من "**طور**" [4]، وأمه "**كسى بنت كركي بكر**" وتنسب أمه إلى "**سبط بن عبد الله الأنصاري**"[5].

عرف الأسكية محمد بمناقبه الجميلة من حسن تدبير وعطف والإحسان للمساكين وحب العلماء، أمثال: **محمد عبد الكريم المغيلي**[6].

---

[1] عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسكية وأجوبة المغيلي**، تقديم عبد القادر زباديه، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر، 1974، ص10.

[2] سعد غيث مطير أحمد، **الثقافة العربية الإسلامية وأثارها في المجتمع السودان الغربي دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي**، ط1، دار المذر الاسلامي،(د، ت) 2004، ص392.

[3] بوفيل روبن هاليت، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير** ، (د، ت) ، الهادي ابو لقمة، محمد عزيز، ط2، منشورات جامعة غاريو نسرا، بنغازي ،1998،ص235.

[4] هي مدينة صغيرة على البحر الأحمر تبعد عن السويس بأربعين فرسخا وتعد حدا لمصر من جهة الجزيرة العربية، **للمزيد أنظر**، كربخال مرمول، **إفريقيا**، تر، محمد حجي ومحمد رنين وآخرون،(د. ط) ، جزء 3، دار المعرفة الرباط ، 1989،ص395.

[5] كعت، مصدر سابق، ص59.

[6] هو محمد بن عبد الكريم المغيلي نشأ لتلمسان من قبيلة مغيلية الأمازيغية اخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمان الثعالبي ومن ثمة إنتقل إلى توات أين أخذ عن الشيخ يحي بن يدير، سافر إلى بلاد السودان الغربي حيث درس وأفتى واصلح والتقى بسلاطينها، وله عدة مؤلفات نذكر منها مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مغني النيل، شرح الجمل في المنطق .....

وفي نفس الصدد يصفه كعت بقوله:« **لايوجد له مثيل لاقبله ولا بعده وحب العلماء للعلماء، وبذل النفوس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين واعانتهم على الطاعة وعبادة الله وأبطل جميع البدع وسفك والدماء...** [1] ».

وفي مقابل ذلك يذكره السعدي « **بالأسعد الأرشد أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الذي يلزمه من أمور الحل فرج به الله تعالى عن المسلمين الكروب وأزال به عنهم الخطوب والبلاء واستفتاهم فيما والعقد**»[2]، وبطبيعة الحال أن إمبراطورية سنغاي في عهد أسكيا محمد وصلت الى ذروة قوتها ومجدها إلا حد لم يسبق له مثيل في إفريقيا كلها في تلك الأيام فبسط نفوذه غربا إلى المحيط وسيطرة على بلاد الماندينجو (مالي) والفولاني وشمالا حتى موطن الطوارق وامتد نفوذه جنوبا بعد اخضاعه مملكة الموسي(الموشي) الوثنية وشرقا بلاد الهوسا (نيجيريا) [3] .

وغيرها، توفي 909هـ /1504م. **للمزيد انظر**، عادل نهويض، **في معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نهويض بثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص 308.

[1] كعت، مصدر سابق، ص59.

[2] السعدي، مصدر سابق، ص 32.

[3] ابو بكر إسماعيل ميغا، **الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي**، ط1، مكتبة التونة، الرياض المملكة العربية السعدية، 1997، ص113.

1/التنظيمات السياسية والإدارية لمملكة سنغاي:

هي الأخرى مثل مملكة غانة ومالي إذ أن حاكمها قام بتزويدها بأنظمة حضارية شملت مختلف مجالاتها وكانت أولها التنظيمات السياسية والإدارية إلى غير ذلك والتي تعد من أهم الركائز في تطوير أي دولة حيث اتخذ لنفسه حراسا ملكيا خاص من أحد المقربين إليه من الأقارب والضباط، فقسم هذا الحرس إلى فرق منهم من يقفون على رأسه لاستقبال

السفارة مابين البلدان الأخرى، وفرقة أخرى ترافقه حين ينتقل من مكان لآخر ومنهم الضاربين عن الطبل في المناسبات[1].

فعمل على وضع وظائف منها وظيفة "**بكوي** "(رئيس السوق) وظيفة "**كيمي** "(مدير البناء) إضافة إلى وظيفة "**الكورابانداموندیو** "(وزير الأملاك) وإلى جانبه وزير الماء (لاري فارما) ووزير الغابات (ساوفارما) ووزير الزراعة والأوقاف (ناري مون ديو) [2].

وفي جانب التقسيم أو التنظيم الإداري للأقاليم والولايات، إذ شهد التقسيم حرصه على أن تكون هذه الولايات أو الأقاليم تابعة للإدارة المركزية في العاصمة جاو وبرز ذلك في اختياره الولاة من أقربائه وعبيده المخلصين ومن بين هذه الولايات نجد : **الولاية الأولى** تقع في الجنوب وتمتد من بلاد داندي حتى بلاد الهوسا، أما **الولاية الثانية** في الوسط وتشمل جاو وتنكبت وتنتهي في بلاد الطوارق، اما **الولاية الثالثة** هي موجودة في الغرب وتشمل بلاد السودان الغربي[3]، وكانت أهم واجبات الوالي جمع الضرائب المفروضة على منطقته وتقديمها للملك في الوقت المحدد وكانت تقدم سنويا[4]

أما بالنسبة للاقاليم فنجد :

---

[1] عبدالقادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقين 1493/ 1593**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر،(د، ت) ص56 .

[2] نفسه .

[3] رشيدة السعيدي، مرجع سابق ، ص179.

[4] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص60.

1:**إقليم غوار (Guar)** يقع على أطراف مملكة بورنو من جهة الغرب وينقسم إلى سبعة أقاليم .

2:**إقليم باوش (Bouchon)** يأتي مباشرة بعد إقليم غوار انتشر فيه الإسلام زمن سني علي ومن جاء بعده.

3:**اقليم أتاغاز (Atagas)** يقع بالقرب من الأقاليم التى نشأت بالمملكة وهو مرسى لسفن، وأصل سكانه من إقليم ركزك وصله الإسلام زمن سني علي، به عدة معادن منها الخشب.

4:**إقليم كرمزف (karmazophe)** يشمل هذا الإقليم نحو 20 قرية سلطانهم واحد وبهه عدة معادن مثل الكحل، الملح، الذهب... [1] .

5:**إقليم سكسو (Sexy)**

يقع في الجنوب الغربي بمدينة سيغو من عاصمة باماكو ويبعد عنها بحوالي 220 كلم وجزء من طبيعته جبلية، أصل سكانه من السودان البمبارا ويمتهن التجارة خاصة تجارة العبيد التى كانو يلعبون فيها دور الوسيط بين إفريقيا والشمال الإفريقي وأوروبا، حيث يقومون بغزو القبائل القاطنة خلف ديارهم ويبيعونهم للتجار.

6:إقليم كتسيبة(katsiba) يقع إلى شمال من مدينة تنبكت وهو ملك السودان الغربي، عملت كل الممالك التى قامت بالسودان الغربي على السيطرة عليه، وكانت آخرها مملكة سنغاي وذلك لقيمته الإقتصادية [2] .

أما الجانب الإداري فإنه أعاد تنظيم الدولة فعمل على إنشاء أربع نيابات، النيابة الأولى في "**داندي** "وهي تحكم بحيرة تشاد، أما النيابة الثانية في "**بانكو**" وتشرف على المنطقة بين تنبكت وجاو في الشمال، أما النيابة الثالثة في "**بالما(balma)** " وتحكم كل الجزء الغربي من تنبكت و جامبرا إلى تجازا وتعمل تحت إشراف الملك على جماعات

[1] الدالي، المرجع سابق، ص ص119 120.

[2] نفسه ، ص ص120 121.

الطوارق، أما النيابة الرابعة وهي الأهم في "**كورميناي** "عاصمة "**تندرما**"، تضم حكومة باجهينا (مالي) ودرما عاصمة "**سيرا sura** " ومسينا وجرت العادة أن يعين في هذه النيابات أحد أبناء الأسرة الحاكمة، فمثلا كان" **فرن محمد بنكن ابن داوود**" نائب عن أبيه في كورمينا [1]

كما توجد ممالك وطنية خاضعة لإمبراطورية سنغاي ويحكمها أمرائها الوطنين وتحت موافقة سلطان سنغاي وتدفع الجزية من هذه الممالك:

1:مملكة همبوري: (hombori)

2:مملكة سانسندينغ (sansanding)

3:مملكة باندونك : (bandonk) وترك الأساكي للأمراء الوطنين المحليين في دول الهوسا التي خضعت لسنغاي، ولكن مع وجود نواب أو ممثلين في هذه الدول من قبل الأسكيا [2] .

كما كان لرحلة الأجانب في إعطاء الهيبة والمكانة للملك في ملكه كما جرت العادة أن أي ملك يصعد إلى الحكم بداية من فترة حكام مالي الأوائل أن يقوم برحلة الحج وهذا مايعطي له فيما بعد قدسية، حيث سارع الأسكيا محمد لأداء فريضة الحج 902هـ، 1496م، مصطحبا معه 500من الفرسان و10000جندي من جيش المشاة، وحمل معه 300000 قطعة ذهب ووزع ثلثه في الصدقات والإحسان حتى يضفي على حكم الشرعية طلب من الخليفة العباسي إعطائه لقب الخليفة فرضي له بذلك وأصبح خليفة[3]، وعند عودته بعد إنقضاء موسم الحج من البقاع المقدسة معززا بتأيد ديني واستخلاف رسمي على بلاد التكرور حيث سعى إلى إستغلال هذا التصريح بضم بلاد جديدة للإسلام إلى أن محاولاته

[1] فليكس ديبوا، **تنبكت العجيبة**، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص ص 101 102.

[2] إبراهيم علي طرخان، أسرة الأساكي... مرجع سابق، ص53.

[3] العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، سلسلة الدراسات الكبرى المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1983، ص ص 323 324.

بائت بالفشل وبقيت سيطرة سنغاي مقتصرة على الأقاليم التي كانت تدفع الجزية مقابل الاستقلال الذاتي وشكلت في مجموعها حزاما متراسيا من نهر السنغال غربا إلى بلاد الأير وبلاد الهوسا شرقا[1].

2 /التنظيمات العسكرية و القضائية:

كان للجيش أهمية كبيرة نظرا لدور المنوط له في تنفيذ السياسات التي سار عليها سلاطين سنغاي يعملون على تنفيذها وعلى رأسها سياسية الجهاد وتوسيع رقعة الدولة واعتبر أسكيا محمد القائد الأعلى للجيش فعمل على تنظيمه بأن قسمه إلى عدة فرق استنادا إلى نوع الأسلحة المستخدمة وهذه الفرق هي:

1/ **فرقة المشاة:** كانت عماد القتال في الجيش وتنقسم إلى قسمين:

أ/ **فرقة الكتائب:** توضع في مقدمة الجيش وقد اشتهرت بشجاعة أفرادها وخفتهم وهؤولاء هم الفدائيون وكتائب الاستطلاع.

ب / فرقة موسيقية: تستعمل الطبول لإثارة حماس المحاربين ومن هؤلاء المشاة فرق احتياطية من المرتزقة (الطوارق) وهم يركبون الجمال ويقاتلون عليها أحيانا ويضعون اللثام لحجب وجوههم [2].

2/ **فرقة الفرسان:** تحتل المكانة الثانية في الأهمية بعد فرقة المشاة وتأتي مباشرة في صفوف المعارك.

3/ فرقة سلاح الخيالة: كان لها دور فعال في حسم المعارك كما أنها تشارك في مواكب الاستعراضات العسكرية والاحتفالات الملكية.

4/ **فرقة الطوارق:** اعتمد عليهم لامتلاكهم قوة ومهارة خاصة في المهمات الصعبة.

---

[1] أحمد بابا التنبكتي ، **معراج الصعود في حكم الاسترقاق** ، تحقيق وتر: فاطمة حران ،جونيك هنريك ، (د، ط) ،منشورات معهد الدراسات الإفريقية ،(د، ب)،2000، ص18 .

[2] نعيم قداح، **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، تر:عمر حكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د ب) ،(د, ت)، ص113.

5/فرقة العبيد: كان من ضمن فرقة الجيش طبقة آل عبيد ومن الضباط أكثر ولاء من غيرهم.[1]

أما بالنسبة للأسطول فقد عرف ازدهارا كبيرا خاصة في عهد "**أسكيا محمد** " فعمل على إنشاء أسطول بحري على النيجر وأهم قواعده جاو تنبكت وأغلبية هذا الأسطول من الجنود ولم يكن لهم دور فعال في نقل المعدات عبر النيجر وروافده ليوافوا بها مختلف المراكز التي توجد بها الجيش كما يحملون الجنود من مكان لآخر على أطراف النهر أو يقطعونه [2] .

أما اشتراكهم في الحرب فكان محدودا وغالبية أسلحتهم متمثلة في السيوف والأقواس والسهام المسمومة والدروع [3]، والحرشان(الحراب) التي تستخدم في الطعن ويتوضع عادة من قربوس السروج[4]، وسفنهم طويلة وليست عريضة وقد أدى دور فعال في نقل البريد وإيصال المدد للحصون والجماعات الموزعة على طول نهر النيل وتأمين الطريق البحري في وجه التجارة[5] .

كما أقام نظام الضرائب ويكون الدفع بمقتضاه عينا وذلك ليملأ الخزينة العامة وقد ساعده استلائه على ممالح تغازة على خلق نشاط تجاري واسع وبذلك تمتعت المملكة برخاء عظيم مما جذب إليها تجار طرابلس الغرب وفاس...[6] .

---

[1] سعد غيث مطير أحمد، مرجع سابق، ص 325.

[2] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص70.

[3] كانت تستورد من شمال إفريقيا وتستعملها الطبقة الممتازة نظرا لغلاء ثمنها وشدة الحرارة في ذلك الإقليم ، **للمزيد انظر** : نعيم قداح، مرجع سابق، ص 113.

[4] إبراهيم علي طرخان ، أسرة الأساكي..... ، مرجع سابق ، ص 54 .

[5] سعد غيث مطير أحمد، مرجع سابق، ص 327.

[6] محمد فاضل علي باري ، سعيد إبراهيم كردية، مرجع سابق، ص 120.

وبالموازاة مع ذلك فإن الجانب القضائي في إمبراطورية سنغاي ثم تنظيمه تنظيم دقيقا ممتازة على الشريعة الإسلامية وأصبح القضاء مستقلا بذاته وللقاضي بعد تنصيبه سلطات واسعة واستقلال قضاياه[1].

وقد بلغ منصب القضاء في عهد إمبراطورية سنغاي ذروته ويتم تعينهم من طرف الملك ويختارهم من العلماء والفقهاء البارزين في العلم والمتضلعين في الفقه المالكي ممن امتاز بالعلم والفقه والورع والزهد واشتهر صلاحه وعلمه بين الناس وكان ملوك سنغاي من آل أسكيا يحرصون على إختيار الأصلح من العلماء لولاية القضاء والأصلح عندهم هو العالم الصالح الورع الزاهد التقي وبدون ذلك لا يقلدونه القضاء فلذلك يجدون صعوبة كبيرة في الحصول على العالم الذي تتوفر فيه هذه الشروط[2] .

والجدير بالذكر أن مهمة القضاء صعبة وأغلبية الفقهاء يهربو من هذا المنصب ولا يتولونه إلى بعد الحاح شديد[3] ويتم تنصيبه عقب صلاة من الصلوات الخمس في مسجد جامع بمرأى الناس بحضور الملك في يوم مشهود يأتي الفقيه الذي يريد الملك تعينه وتقليده منصب القضاء وبعد الصلاة يحلف أمام الملك وسنة نبيه وخلفائه من بعده و اجتهادات أئمة العلم من بعدهم ولا يخالف في الله لومة لائم[4].

وبذلك كان القضاة في سنغاي مثالين في الاستقامة والقيام بجميع واجباتهم بإخلاص ولهذا كانوا على درجة كبيرة من الاحترام والتقدير سواء من المساعدين لها على الاستقرار لأنهم يشاركون مشاركة فعالة في حفظ الأمن، أما من طرف الشعب فلما كان يمثله القاضي

[1] ميغا، القضاء...، مرجع سابق، ص 242.

[2] ميغا، الحركة العلمية....، مرجع سابق، ص 276.

[3] وعليه ذكر كعت في كتابه أنه في أيام أسكيا داود الذي اشتهر بالعدل والإحسان للعلماء وطلبة العلم وتوقيرهم وأنه أمر الفقيه محمود ابن عمر محمد أقيت أن يطلب من الفقيه محمد بغيت وأخيه الفقيه أحمد بغيغ ابن القاضي محمود بغيغ أن يتولى أحدهما القضاء حتى ألح عليه إلحاحا شديدا وطلب أسكيا داود من العلماء والأعيان محاولة إقناعهما لكنهما أصرا على الرفض ولما شدد في ذلك هربا إلى المسجد الجامع وأقام فيه شهورا ويأتيهم رسل أسكيا داود كل يوم لإقناعهم إلى أن عفى عنهما، **للمزيد انظر**، كعت، مصدر سابق، ص 113.

[4] ميغا، الحركة العلمية...، مرجع سابق، ص 249.

في أعين العامة من قول الحق والمحافظة على سير المصالح العامة بسيرها الطبيعي وكذا حراسة المؤسسات الدينية والتعليمية[1] .

ولهذا كان منزل القاضي ملجأ حرمة لايجوز لسلطة الوصول إليه يلتجئ الفارون من جور الملك والهروب من السجون وإليه يأتي الخائفون من التتبع ومن التجأ إليه أصبح آمنا وللقاضي أن ينظر في أمره حسبما يلتمس في ذلك أحكام الشر[2]، واشتهر المجتمع في سنغاي في أيام الأسكين بقلة أنواع التعدي بين أفراده فقد تواترت إلينا شهادات الرحالة والتجار من تلك الفترة على اتصاف المجتمع السوداني بالوداعة وقلة التعدي لذا كانت القضايا التي تعرض أمام القضاة في طبيعتها قليلة[3]، فكانوا يفصلون في القضايا التي لها صفة أخلاقية كالقضايا الشرعية من عقار وإرث والديون، أما الجنايات التي يحكم فيها بالإعدام كانت تعرض أولا على القاضي ثم يطلب أمر تنفيذها لأسكيا نفسه[4]

ومن مهام القاضي الفصل في الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية فيحكم في الخلافات الشخصية من طلاق زواج ديون وقروض وتجارة وعقارات... [5]، وفي هذا المقام أورد صاحب مخطوطة جامع فروع العلم عن مهام القاضي بقوله: « **وأما القاضي فهو نائب الإمام في تنفيذ الأحكام الشرعية فإذا كانت الأرض سائبة كما في تنبكت أو ما حولها أو في حكم السائبة... فعلى القاضي أن يفصل في هذه المسائل**» ،توضح لنا هذه المخطوطة أن مهام القاضي لاتقتصر على الأحكام الشرعية فقط بل لديه مهام أخرى منوطة له وهي الجانب الخاص بالزراعة [6] .

---

[1] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص 76.

[2] نفسه ، ص 73.

[3] نفسه ، ص 75.

[4] سعد غيث مطير أحمد، مرجع سابق، ص833.

[5] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص75.

[6] الدالي، مرجع سابق، ص 136.

وتتجلى أكبر وظائف القاضي في الإشراف على سير التعليم في البلاد وهو الذي يعين المدرسين في المنطقة ويحصي الطلبة ويساعد المحتاجين منهم وكان كثيرا مايتولى مهمة بناء المساجد لدراسة والصلاة حسبما يراه من حاجة المنطقة إلى ذلك أو أنه يتولى ترميم مسجد من المساجد[1]، أما رواتب القضاء يتولى دفعها الملك من خزينته وهي رواتب محترمة وقد تدفع من أموال الأوقاف وهذا ما أكده صاحب مخطوطة جامع العلم بقوله :« يقدم **للقاضي رزقه من الأوقاف المطلقة .... فإن لم توجد فمن أوقاف المساجد أو إعطائه من غيره** » [2].

وفي حالة غياب القاضي عن البلاد مثل السفر إلى الأراضي المقدسة أو نحو ذلك فإنه يستخلف قاضيا يختاره بمعرفته ويكون محل ثقته ليخلفه في مهمته[3]، وإذا ما توفي القاضي وكان له ولد عرف عنه الصلاح فانه يقدم لهذه المهمة فقد تولى امر القضاء الفع محمد بن عمر الفقيه القاضي محمد بن عمر محمد أقيت[4]، أما الأحكام التي يصدرها القاضي فأقصى عقوبة الجلد أما الإيداع في السجن فيصدره القضاة كما كان يصدره الملوك ايضا وتعرف ثلاث سجون رئيسة موجودة في مملكة سنغاي "**جاو**" "**تنبكت**" " **جني**" [5]

وقد ذكر لنا السعدي أشهر القضاة الذين تولو القضاء في مدينة جني في عهد إمبراطورية سنغاي وهم على الترتيب القضاء بعد وفاة القاض« **أولهم القاضي محمود فودي سانو ثم القاضي فوك ثم القاضي كناجي ثم القاضي محمد بتب كنات وقال عنه السعدي كان فيها عالما جليلا تولى القضاء بعد وفاة بكر التوري فهو اخر قضاة في دولة السودانين**»[6]

---

[1] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص76 .

[2] الدالي، مرجع سابق، ص 138.

[3] سعد غيث مطير أحمد ، مرجع سابق، ص338 .

[4] الدالي، مرجع سابق، ص 139.

[5] ميغا، الحركة العلمية...، مرجع سابق ، ص ص 284 285 .

[6] السعدي، مصدر سابق، ص ص 19 20.

3 / التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية:

أ/الاقتصادية:

احتلت سنغاي مركزا مهما من مراكز التجارة لسودان الغربي وبطبيعة الحال نمت سريعا لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى المتجهة نحو حوض النيجر.

1/الزراعة.

مثلت الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد وذالك بوجود معظم أقاليم مأهولة و قد ساهم عدد من حكام السودان الغربي وفي طليعتهم "**أسكيا محمد**" وفي هذا المقام طور الإنتاج الزراعي وأدخل أساليب جديدة لاستصلاح الأراضي خاصة بعد استقدام المزارعين اليهود (توات) قنوات الأقنية وإيصال المياه إلى الجهات المنخفظة وإقامة السدود على البحيرات للاحتفاظ بمياه الأنهار وبالتالي تحسين الإنتاج الزراعي في البلاد بتوفير الري [1]، وتمثلت منتجاتهم الزراعية في الأرز، الدخن، الشعير، القمح، القرع، قصب السكر... أما الماشية تمثلت في الإبل، الخيول، الفيلة، الغزلان، الأغنام، الأبقار، الماعز... [2]

وعليه كانت مزارع واسعة في المدن الكبرى يتولى استعمالها عبيد يقيمون في القرى للزراعة وكان أسكيا نفسه من كبار ملاك الأرض وحقوقه موزعة في أنحاء الوادي ويقوم بفلاحتها طوائف من عبيد تحت رقابة مشرفين يطلق عليهم فنغا [3] .

---

[1] محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ج1، مؤسسة خليج والطباعة والنشر، صنعاء، الكويت، 1982، ص 62.

[2] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص ,ص 275 280.

[3] سكسين يمودي سيكسيو، **سنغاي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، مج 4، صادر عن اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، لبنان، 1988، ص 214.

2 / الصناعة:

أما بالنسبة لصناعة فهناك مختصون في مختلف المهن فكان هناك حدادون وصانعوا الأباريق الفخارية والنحاتون والحائكون والصائغون وقد عملت النسوة في بعض الصناعات وقد شهد ليون الإفريقي شهرة النعال التي وصلت إليها في شمال إفريقيا مما يدل على التطور الكبير في صناعة دبغ الجلود من حيوانات المنطقة ،وقد استعملو القطن والصوف للحياكة اليدوية وحمل التجار العرب لتلك البقاع تحسنات كثيرة في الصناعة النسيجية وغيرها، وأما بالنسبة للمعادن نجد الحديد وكانت مناجمه منتشرة في عدة بقاع السودان الغربي وازدادت أهميته أيام "**سني علي**" و "**أسكيا محمد** " وذلك لكثرة فتوحاتهم فازدادت الحاجة إليه في صناعة الأدوات الحربية (الحراب، السيوف، الرماح، الدروع...) [1].

3- **التجارة :**

تعتبر التجارة من أهم الموارد التي إعتمد عليها للسيطرة على الطرق الرئيسية التي تمر بها هذه التجارة عبر الصحراء الكبرى وكانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية التي يرتادها الناس في المحلات القريبة ، كما توجد بعض الدكاكين البسيطة وأغلبية البضائع تباع في العراء [2]

ومما سجلته لنا الكتابات التارخية أنه سادت في سنغاي مراكز التجارية الرئيسة أهمها"**تنبكت**" التي توافد عليها التجار من السودان الغربي ومن الشمال الإفريقي في حركة دموية يحملون بضائعهم ويعودون محملين "**بالذهب والرقيق وناب الفيل وريش النعام**" ، وقد بلغت ذروة إقتصادها الذي عرف بالعصر الذهبي للمدينة حيث بلغت القوافل القادمة إليها من الشمال الإفريقي 751هـ إثنا عشر ألف جمل[3].

---

[1] نعيم قداح، مرجع سابق، 123.

[2] عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1981، ص321.

[3] عبد الله سالم بازية، مرجع سابق، ص142.

أما العاصمة "**جاو**" نمت سريعا لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عن المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى وبذلك مكنها موقعها من الإشراف على حركة الملاحة والتجارة على إمتداد النهر نحو الجنوب والغرب وبالتالي تيسرت إتصالاتها بهذه المناطق فتجمعت في المدينة بضائع المنطقة كلها وارتادتها القوافل التجارية ونتج عن ذلك توسعها وامتدادها إلى المناطق المجاورة [1].

يوجد فيها ساحة لبيع الرقيق بأعداد كبيرة حيث بلغ سعر الفتاة البالغة ثمانية عشر سنة حوالي ستة دنانير ومثله ذلك لشاب والطفل الصغيروكذلك العبين المتقدمين في السن نحو نصف هذا المبلغ ، وعليه فإن "**الأسكيا محمد** " إهتم بإصلاح الأسواق فوحد الموازين والمقايس وعين المشرفين على الأسواق كما كان الشأن عند مالي ومن مهام هذا المشرف مراقبة السوق وإنزال العقاب الصارم على من يرتكب غش أو تزوير [2].

أما "**جني**" تقدمت كثيرا هي الأخرى في المجال التجاري في عهد "**الأسكيا إسحاق**" كانت من أعظم مدن السودان وأصبحت سوق مهمة من أسواق المسلمين يلتقي فيها تجار الملح من تغازة وتجار الذهب وجمعوا أموالا لاتحصى وحضيت المدينة بأهمية إقتصادية كبيرة نظرا لموقعها كملتقى القوافل التجارية التي تسير بين الشمال والجنوب ،وعمل "**سني علي**" على رفع قيمتها التجارية ودعم الأمن بها[3].

أما بالنسبة للعملة فيذكر الوزان أن سنغاي أثناء مروره بها كان الناس يتعاملون بالذهب دون سكه بينما يذكر البكري أنه في أسواق تادمكة (تقع شمال ولاتة) يتعامل الناس بالدراهم الصلع (أي غير المكتوب عليها) بينما يذكر زبادية أنه في سفريات جاو كثير من الدراهم

[1] عبد الله سالم بازية ، مرجع سابق ، ص146.

[2] إبراهيم علي طرخان، أسرة الأساكي...، مرجع سابق، ص58.

[3] عبد الله سالم بازية، مرجع سابق، ص145.

والدنانير الفاطمية والمغربية والمملوكية ،وهكذا يتبين أنه وردت على سنغاي عملات أخرى إستعملت في أسواقها بإضافة إلى الذهب واستخدام النحاس للمعاملات المالية [1] .

وفضلا عن ذلك أنه كان التعامل بالمقايضة ويقطع غير المسكوك وبدون كتابة ويزن مثقال السوداني حوالي 4،238 غراما وكذلك إستعملت قطعا من الحليب والخبز والعسل وتزن قطعة الحديد من 1−2 /4−1/1 وهناك الودع[2] الذي يجلب من جزر المالديف بالمحيط الهندي[3]

[1] عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص322.

[2] هو عبارة عم صدف أو قواقع بحرية صغيرة أو يسمى خزف البحر، وهو في الأصل بيت الحلزون يرميه البحر في الشواطئ، **للمزيد انظر**، نعيم قداح، مرجع سابق، ص128.

[3] إبراهيم علي طرخان، أسرة الأساكي...، مرجع سابق، ص58.

4/الثقافة العربية الإسلامية:

كانت مملكة سنغاي وريثة عرش مملكة مالي هي الأخرى خاصة في عهد عصر الأساكي أزهى عصور إنتشار الثقافة العربية الإسلامية ، إذ شهد العلماء تواصلا وتنقل دائم بين المراكز الثقافية السودانية والمغربية ،وتجسد هذا الأمر أكثر فأكثر حاصة بعد عودة أسكيا محمد من الحج الذي إتجه إلى تنفيذ حركة توسعية ذات طابع إسلامي،[1]حيث طبق الشريعة الإسلامية في جميع الأمور لإصلاح أمور الرعية كما لازم العلماء واستفتاهم أما في الميدان السياسي أطلق سراح المسجونين الذين سجنهم وحرر من إسترقهم سني علي ورد كل مال غصبه إلى حقه.[2]

ومما ميز عصر تميز وتفوق الثقافة العربية الإسلامية في عصر الأساكي أنه ميزها مرحلة التدريس في المساجد وكانت تستخدم لهجات محلية العامة ،ومما شاع أكثر هو إستخدام اللغة العربية التي كان لها تأثير في اللغات المحلية مثل الهوسا والفولاني .....[3] وعلاوة على ذلك فإن إنتشار مراكز العلم والثقافة الإسلامية مثل مدينت تنبكت التي تحتوي على مسجدين مهمين هما مسجد سنكوري والمسجد الكبير ، وقد ألحق به معهد علمي فكان أقرب إلى الجامعة في الوقت الحالي كما كان على إتصال علمي وثقافي بين العالم الإسلامي المشرقي والمغربي[4]

ومما هو جدير بالذكر أن الكتب والمخطوطات أصبحت من السلع الرائجة التي تباع في أسواق تنبكت بأثمان باهضة التي شهدت إقبالا وتلهفا لإقتناء الكتب [5]، كما كانت مدينة

---

[1] ومما ميز جهاد الاسكية محمد التوري ونشره لمبادئ الثقافة العربية الإسلامية والدين الإسلامي، فمما رصدته لنا أغلب الكتابات التاريخية أنه قام بالجهاد ضد قبائل الموشي(الموسي) الوثنية وطلب من ملوكهم الدخول في الإسلام او دفع الجزية وفي أحيان أخرى حاربهم وانتصر عليهم وبذلك اتسعت مملكته في الجهات، **للمزيد انظر**، عبد القادر زبادية،الحضارة العربية و التأثير الأوربي في افريقيا الغربة جانب الصحراء ،دراسات ونصوص،المؤسسة الوطنية للكلاب،الجزائر 1989،ص57.

[2] ميغا ،الحركة العلمية .....،مرجع سابق،ص32.

[3] محمد فاضل علي باري ، سعيد إبراهيم كردية، مرجع سابق، ص12 5.

4 إبراهيم علي طرخان،أسرة الاساكي....،مرجع سابق، ص66.

5 محمد مولاي ، مرجع سابق، ص75.

تنبكت تحتوي عدد كبير من العلماء وطلبة السودانين ويوصفون بالحماس للعلم والمعرفة وقد كان العلماء يقومون بالتعليم وارتقى ذلك إلى منح الإجازات العلمية [1] ويلي تنبكت من حيث الإيجاز العلمي مدينة جني التي كانت جوهرة زمانها إذ حضيت بإهتمام الأساكي بتعين قضاة صالحين وبدورهم يساعدون القضاة في إقامة مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد التي كثرب بالعلماء والفقهاء من شتى مشارف العلوم[2]

1 إبراهيم علي طرخان ،اسرة الاساكي ...،مرجع سابق،ص67.
2 ميغا ،الحركة العلمية.....،مرجع سابق ،218.

ب/ مرحلة الضعف:

إثر الإنقلاب الذي قام به القائد "**داندي فاري**"على الأسكيا محمد تولى" **أسكيا اسماعيل**" (1537-1539م) عرش سنغاي حيث عرف في عهده تفشي مرض الطاعون واصابته هو وجنوده وهو لايزال يقاتل الوثنيين وبعد وفاته عاد الجيش إلى "**جاو**" ليختارو ملكا يخلفه ووقع الإختيار على الأسكيا" **اسحاق الأول** " (1549- 1559م) ومن هنا يتضح لنا أن الجيش كان له دور فعال في تولية السلطان[1] ثم بعد ذلك انتشرت ظاهرة العصيان والتمرد وفي هذه الفترة أثيرت مسألة" **تغازة** "فقد طلب سلطان مراكش" **محمد الشيخ**" بملكية مناجم الملح لاكنه أخف في محاولة احتلالها ورد عليه "**اسحاق الأول** " "**درعة**"[2].

أما في عهد "**الأسكيا داوود**"(1549-1582م) الذي أعتبر من أبرزملوك الأساكي الذي عرف بحنكته كما نجح إلى حد كبير في دعم السلطات الداخلية [3]،وعلى حسب تعبير المؤرخ كعت عنه « **وكان لأسكيا داوود سلطان مهيبا فسيحا خليفا للرياسة كريما جوادا وهو أول من اتخذ حزائن الكتب وله نساخ ينسخون له الكتب وربما يهادي بها العلماء** » وفي موضع أخر يصفه بأنه «....**كثير الصدقات يحترم العلماء وله أعمال خيرة كثيرة**[4] »

كما قام هذا الأسكية داود بتوجيه حملات عسكرية ضد ممالك الموشي(الموسي) وكذلك في ماسينا، حيث حققت نهظة اقتصادية وفكرية عظيمة فازدهرت التجارة على نهر النيجر وانتعشت المدن التجارية في عهده حيث سمي عهده بعهد "**القوافل العابرة** " إلى الصحراء كما أكرم العلماء والأدباء وأغدق عليهم[5]

3السعدي ، مصدر سابق، ص95.

[2] سكسين يامودي سكسيو ، مرجع سابق ،ص208.

[3]. هو شقيق الأسكيا اسماعيل وقد تولى عرش سنغاي وهو في كوكيا بعدها دخل جاو، **للمزيد أنظر** ، السعدي ، مصدر

[4]. كعت ، مصدر سابق،ص94

[5]. سكسيو يامودي سكسيو ، مرجع سابق ، ص108

أما في عهد" **أسكيا محمد الحاج**" (1582_1586م) ماقام به من اصلاحات إلا أن المؤامرة قد بدأت تحاك ضده قصد الإطاحة به [1]، فلما إلتقى الجيشان توفي" **أسكيا محمد الحاج**" وتولي السلطة بعده الأسكيا "**إسحاق ابن داوود** "(1588_1591) [2] ،حيث أغدق هذا الأخير على الجنود بالهدايا والمنح ولم يلبث هذا الوضع على حاله حتى ظهرت الفتن والاضطرابات وتولى عليه العديد من الثورات منها تورة "تنبكت "التي اعترفت بحاكم ثائر من من عائلة الأساكي كان قد وجد له أنصار في جيش سنغاي وهو الحاكم "**بالاما سالبكي تونكار** "وما إن انتهى من محاربته حتى دخل في معركة مع المولى "**أحمد المنصور الذهبي**"[3].

[1] الدالي، مرجع سابق، ص 111.

[2] نفسه ، ص 192.

[3] عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، مرجع سابق، ص 52.

الفصل الثاني

ضعف مملكة سنغاي والاحتلال المغربي

تمهيد

تعد مملكة سنغاي من أقوى الممالك غير أن ذلك لم يدم طويلا، حيث تراجعت قوتها وسيطرتها بعد التخاذل الذي تعرضت له من طرف الأسرة الحاكمة وهو مانخر المملكة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ودينيا والتى كانت بمثابة عوامل جذب والاستقطاب للغزو السعدي طمعا في خيرات وثروات المملكة والسيطرة على مناجم الملح والذهب والتخطيط للاستلاء عليها وذلك بتوجيه حملة وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

1. أسباب الضعف:

لقد اجتمعت عدة أسباب وعوامل أدت بشكل أو آخر إلى ضعف وانكماش حضارة السنغاي التي عرفت أعز مجدها في عهد أسكيا محمد.

أ/الأسباب السياسية.

بحكم أن مملكة الأساكي عرفت أزهى اتساع في عهد أسكيا محمد إلى أنه لم يبسط نفوذها على أراضي الموشي(الموسي) والأير والهوسا، كما شكلت لنا فترة القرن 10هـ /16م تاريخ الحملات لإخضاع التمردات في معظم الولايات، ونتج من خلال هذه العملية الفشل في إقرار الأمن، كما أنه ظهرت مشكلة أخرى ففي هذا الوقت بالذات ظهر على مسرح الأحداث السياسية في الجنوب ممالك الآكان التي أصبحت قبائل ديولا تهتم بالتجارة معها، ومن هنا يمكن القول أن السنغاي فقدت حليفتها سياسيا واقتصاديا وفي هذا الصدد كان أسكيا محمد متفطنا فجعل نائب له على حكم في تندروما وعين عليه أخاه عمر وهذا فقط لمحاولة إحكام السيطرة السياسية على هذه الجهة[1].

كما أنه ومن جهة أخرى فإن محاولة فرض السنغاي السياسية على المناطق المجاورة لها شهدت المنطقة في الوقت نفسه ظهور ممالك الهوسا التي شهدت نهضة سياسية وإدارية واقتصادية ودينية هذا وإن قسمنا ذلك التطور بمقياس ذلك العصر هذا ما شكل لسنغاي عدم استطاعتها في فرض نفوذها على هذه الأراضي، وعليه فإن محاولة استقراء وتتبع للأحداث التاريخية فإننا نجد الأساكي قد قاموا بحملة من الحملات العسكرية لخضوعها سياسيا.

ومما هو جدير بالذكر أنه تم التصادم مع قوة سياسية أخرى قد ذاع صيتها بداية من القرن 6هـ/11م وهي دولة "**بورنو**" التي كانت تعيش أزهى أيامها فقد سعى كل من الأساكي والبرنوين إلى محاولة السيطرة على ممالك الهوسا ومنطقة" **الأير**" إلى أنه ومن الملاحظ أن

[1] عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص ص 81 82.

كل منها كان أشد قوة على حاله ماعدا دولة الأساكي التي كانت تشهد أواخر أيامها وبداية دخولها في عصر الانحطاط [1] .

وبالعودة مرة أخرى إلى عهد أسكيا داود الذي عمل هذا الأخير على إحياء أمجاد السنغاي حيث دامت فترة حكمه 34 سنة (1583- 1549م) سلسلة من الحملات ضد الممالك الوثنية الموجودة أنذاك في المنطقة نهر النيجر وأهمها قبائل الموشي (الموسي) 1549م، وبالتالي فإن هذه الحروب أنهكت بيت الأساكي حيث منيت حربه بالفشل ثم قام بعد ذلك بغزو الفولاني الموجودين في ماسينا رغم أنهم منيو بالهزيمة أمامهم عام 1552 م[2].

ومما يحسب من سياسة غير حكيمة وغير موفقة من الأسكيا داود على حد ماتم ذكره في الكتابات التاريخية فإنه وجه حملة ضد مالي وخرب مقاطعتها الحدودية، وتمكن من أسر ابنة المنسى وتزوجها، هذا الأخير تمكن من السيطرة على مالي بمساعدة صهره "**مغشرن كي**" لكن مني بالهزيمة والفشل ضد الموشي(الموسي) مرة اخرى 156 /1563م كما أن الفولاني في طرف جهة نهر النيجر كانت هي الأخرى واقفة بقوة في وجه "**أسكيا داود**"، ومما هو أهم من ذلك أنه عرف عام 1583م من فترة حكم الأسكيا داوود انتشار الأوبئة والمجاعات في تنبكت التي كانت قبل ذلك مركز الإشعاع الفكري ومنبع لثقافة العربية الإسلامية [3].

---

[1] عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط2، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط المملكة المغربية، 2006، ص 149.

[2] مادهو بانيكار، **الوثنية والإسلام تاريخ إمبراطورية الزنجية غرب إفريقيا** ، تر: أحمد فؤاد بليغ ، الطبعة الثانية منقحة ، المجلس الأعلى الثقافة ، الإسكندرية ,1998,ص145.

[3] مادهو بانيكار ،مرجع سابق ، ص145.

ب/ الأسباب الدينية.

وتزامن هذا الإنهيار الإداري والتمزق السياسي والضعف العسكري فسخ أخلاقي عظيم إذ يعبر لنا المؤرخ وقاضي تنبكت عبد الرحمان بن عامر السعدي هذه الأوضاع في كتابه تاريخ السودان وهذا نص من كتابه«... **وبدلو نعمة الله كفرا وما تركوا من معاصي الله تعالى ارتكبوها جهرا من شرب الخمر ونكاح الذكور، وأما الزنى فهو أكبر عملهم وحتى *يفعلها بعض أولاد سلاطينهم***»[1].

ومما أضافه لنا محمود كعت من تصدع وتدهور حكام سنغاي بقوله: « **ولما بدأ أمر سنغاي وشتت الله شملهم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤون بتضيع حقوق الله وظلم العباد والتكبر... وكانت بلاد كاغ (ويقصد جاو) في عهد أسكيا إسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات وفشو القاذورات حتى اتخذو لزانيات رئيسا وصنعوا له طبلا ويتحاكمون بها...**» [2]، ومما تميزت به منطقة السودان الغربي أنها خليط من العناصر وكثرة القبائل المتعادية والتابعة من أصول عديدة كذلك اختلاف العقائد الدينية كانت كلها عوامل ساهمت لترمي البلاد إلى الفوضى[3] .

[1] السعدي، مصدر سابق، ص144.

[2] كعت، مصدر سابق، ص 152.

[3] رياض زاهر، **المملكة الإسلامية في غرب إفريقيا وأثارها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى**، الطبعة الفنية الحديثة، مكتبة المهتدين الإسلامية ، القاهرة، 1968، ص 216.

ج/ الأسباب الاقتصادية.

إن السبب الاقتصادي كان هو الآخر عاملا مهما في سقوط السنغاي ولما كانت التحرشات السعدية المغربية ملحة على بلاد السنغاي نجد أنه كان طلب المنصور الأول من "**إسحاق الثاني** "أن يسلم له مناجم الملح والإعتراف بسلطة ملك المغرب على سنغاي وعلل المنصور طلبه هذا بحجة حماية جنوبه من خطر المسيحين فقد كانت فكرة احتلال الممالح على مشارف الصحراء الجنوبية تراود أحلام السلاطين المغاربة منذ مدة طويلة، ثم أضيفت لها فكرة الذهب الذي يتوفر على بلاد السودان لكن بقي لفترة بتنشيط الأخبار[1] .

لقد شهد عهد الأساكي في أواخر حكم سلاطينها تدهور في التجارة والنشاط الاقتصادي بصفة عامة وهذا ما أكده "**جودر باشا** "حيث أكد أن البلاد فقيرة وليست مدنها إلا قرى صغيرة يلتقي فيها التجار، أما الذهب فيأتى به آخرون من مناطق بعيدة مجهولة لدى معظم سكان سنغاي هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أنه قد استأنفت التجارة عن طريق القوافل بعد ظروف الاضطراب الأولى وفي وقت غلبت على طريق القوافل الفوضى وقلة الأمن فلم تعد لتجارة السودان ذلك الازدهار التي كانت عليه في السابق، ومما زاد في اخفاق تجارة السنغاي بعد ذلك الغزو السعدي بعد عام1591م، وعليه فإن تخاذل الأسكين المتأخرين عن تنظيم دولتهم قد أضعفها أمام الخطر الخارجي فإن عدم توفر الثروة التي كانت الهدف الأساسي من حملة المتصور قد دفعه إلى إهمال شأنها[2] .

وعليه فيما يمكن استنتاجه أن سبب رفاهية وازدهار وتطور مملكة السنغاي قبل هذه الفترة كان راجع إلى الثروة الاقتصادية وأهمها الملح والذهب التي استطاعت من خلالهما أن تسيطر على الطرق والقوافل التجارية، كما ربطت في ظل ذلك علاقات سياسية مع الدول المجاورة لكن فيما حدث في السنوات الاخيرة أن معدن الملح الذي لم يصبح لسنغاي سيطرة

[1] عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، مرجع سابق، ص ص 64 56.

[2] نفسه ، ص 95.

كبيرة عليه في أواخر عهدها ساهم هو الآخر في رسم جسر وأرضية خصبة للغزو المغربي في هذه البلاد.

ثانيا: أزمة الملح وبداية التحرشات المغربية.

مما معلوم به أن معلومات بلاد السودان كانت تنتقل إلى مختلف البقاع عن طريق التجار وأخبارها تغوي السلاطين طمعا في ثرواتها وخيراتها خاصة بعد تلقب "**أسكيا محمد الكبير بأمير المؤمنين** "فاتخاذه هذا اللقب يعني هو منافسة في الزعامة السياسية فلم يكد الأمر يستتب لأسرة الإشراف الحسنين في مراكش أوائل القرن 10-16م حتا بدأو يتطلعون إلى ثروة بلاد السودان الغربي، حيث تسود إمبراطورية بلاد السنغاي إذ أنها كانت في ذروة مجدها وشهدت قوتها استقرارا وتوسعا وثراء وذلك زمن أسكيا الحاج محمد (944هـ _1538م) فجائت نقطة الاحتكاك في محاولة مراكش السيطرة على مناجم الملح" **بتغازة**"[1]، فتذرع أشراف مراكش بأن لهم الحق في هذه المناجم مقابل حمايتها من وصول المسيحين لها[2] ، وكانت أهمية الملح المستخرجة والمنقولة توحي إلى الأهمية الكبرى التي احتلتها هذه المعادن في حياة الأفارقة خاصة والمغاربة بصفة عامة[3].

فقد توالت رسائل التهديد على الأساكي وأول رسالة كانت في عام 1546م حيث أرسل المولى "**أحمد الأعرج** "(حاكم الثاني في السلالة السعديه) إلى "**أسكيا إسحاق الأول**" يدعوه فيها إلى تسليم مناجم تغازة فاندهش من هذا المسعى ورفضه رفضا قاطعا وأجابه بأنه ليس إسحاق الذي يلبي هذا الطلب، وأن إسحاق الذي سمع ليس أنا إياه مازال ماحملت به أمه ولم يكتفي بهذا فوجه ألفي فارس تأديبا للسلطان وأطماعه التوسعية فاغتاظ من ذلك ورد

---

[1] تتوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة الصحراوية وتعتبر تغازة المصدر الأول للملح لسودان الغربي، إذ يصل ثمنه أحيانا إلى وزنه ذهبا واعتمد أهلها في قوتهم على ما يحمله التجار خاصة من مدينة تنبكت ودرعة اللتان تبعدان عنها حوالي 20 يوما ،الأمر الذي كان يهدد سكان المدينة بالهلاك والجوع إذا ما تأخر وصول القوافل التجارية ، **للمزيد انظر**، الدالي، مرجع سابق، ص ص 100 101.

[2] إبراهيم علي طرخان، أسرة الأساكي...، مرجع سابق، ص 38.

[3] إذ يعد الملح من الموارد الرئيسية وكان يستخرج من منجمي أوليل وتغازه اللذان تحدث عنهما البكري بقوله« **من غرائب الصحراء معدن الملح بينه وبين سجلماسة عشرين يوما ، تحفر عنه الأرض كما تحفر سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين أو دونهما... ومعدن الملح أخر عند بني جدالة بموضع يسمى أوليل وعلى شاطئ البحر...**» ،**للمزيد انظر**: البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة،(د ت)، 277.

عليه بتوجيه حملة مضادة إلى "**تغازة**" تمكنت من قتل حاكمها وعدد من الطوارق الذين يشتغلون بنقل الملح وكانت الأوامر بأن لايقتل أحد منهم[1].

خلال حكم "**الأسكية داود**" 991هـ /1583م بعث سلطان مراكش "**محمد الشيخ** " 1554 م حملة إلى تغازة قتلت مأمور الضرائب فأشار إلى المشرفون على مناجم الملح على سلطان سنغاي أن يخليها وينقل العمل والعمال إلى مناجم أخرى على الجنوب فأخذ برأيهم وبدأ العمل في مناجم أخرى (بين تغازة وتاوديني) عرفت باسم "**تغازة الغزلان**" بعد ذلك ساد الهدوء بين سلطان المغرب وأمراء سنغاي مدة من الزمن[2]، غير أن الأوضاع تبدلت بعد مقتل محمد الشيخ وارتقاء "**أحمد المنصور**"[3]، عرش سنغاي عقب معركة "**واد المخازن** "فبدأت منزلة المغاربة تسمو بعد هذا الانتصار [4].

ومما رصدته لنا الكتابات التاريخية أنه في المرة الثانية أصبحت مناجم الملح لها دور بارز في ضبط العلاقات مابين العاصمتين (مراكش وجاو) وأصبح الأمر يستحق المحاولة للقيام ببعض الخطوات المفيدة ففي سنة 1557 م اقترح على" **أسكيا داود**" أن يترك له المناجم لمدة سنة واحدة وكان جواب داوود هدية من عشرة آلاف ذهب عطية مما أدهش المنصور أن يبلغ الأساكي العزاء حين نبأه بوفاة أسكيا داود(991هـ_1583م) [5] .

---

[1] السعدي، مصدر سابق، ص100.

[2] يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مبلغ القرن20**، دار حومة لنشر والطباعة، الجزائر، 2011، ص34 .

[3] هو مولى أحمد بن الشيخ بن محمد الشيخ بن محمد بن عبد الرحمان الملقب بالقائم بأمر الله، أمه مسعودة بنت محمد الشيخ بن عمر بن عبد الله الوزكيني ولد عام 956/ 1449م، أي في السنة التي دخل فيها محمد الشيخ مدينة فاس وفتحها بعد القضاء على الوطاسين الحاكمين لها، **للمزيد انظر**، القشتالي عبد العزيز ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تر: عبد الكريم كريم، (د ط)، مبيعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، (د ت)، ص 25.

[4] جرت معركة واد المخازن 1578م وتعرف هذه المعركة بمعركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاث وعلى اثرها بويع المولى خلفا لأخيه المعتصم و اتخذ لقب خليفة تخليدا على هذا الانتصار، **للمزيد انظر**، القشتالي ، مصدر سابق، ص 25.

[5] إبراهيم علي طرخان، أسرة الأساكي...، مرجع سابق ، ص ص 38 39 .

فبدأ أولى خطواته باستلائه على منطقتي "**توات**" و. "**تيكورارين**" (991هـ_1583م) من فاس ومراكش بقيادة "**أبي عبد الله بن بركة**" والثانية بقيادة "**أبي العباس أحمد ابن حداد العمري المعقلي**" وحسبما ذكره لنا القشتالي: إن فرض الحصار على منطقة "**تيكورارين**"[1]، ثم زحفوا وأرغموا أهل المنطقة على فرض الطاعة كما أحضروا معهم لأمير سلطانهم، وهنا يمكن أن نستقرأ أنه كان الهدف هو كسب الولاء السياسي بدعوة السلطان المغزي في المنابر وتمت فيما بعد الفريقين معركة طاحنة ليبدأ عصر جديد في تاريخ المنطقة[2].

بعد ذلك زحفوا إلى قطرا توات[3] واعتمدوا منها "**تمنطيط**" قاعدة قصورها فاسرع رئيسها الشيخ " **عمران بن محمد بن عبد الرحمان** " إلى إعلان طاعة المنصور وعلم أنه لاطاقة له بمقاومة الحصار ودفاع العساكر، ومما سجلته لنا الكتابات التاريخية أن الجيش المغربي حصل في هذه الغزوة على "**توات**" وبعد إصابتهم بالعطش والجوع بسبب الصحراء عادت القوات إلى المغرب خائبة الأمل[4] .

ومن ثمة أرسل حملة ثانية سنة 1584م وأحد من قياده ومعه مئتان من حملة الأسلحة النارية للاستلاء على "**تغازة**" ولما وصلت إلى هذا الحصن وجدت أن جميع سكانه من الزنوج قد لاذو بالفرار فأدرك المغاربة أنه بدون العمال لا يمكن تشغيل المناجم وبالتالي لا فائدة من الإسلام عليه[5].

---

[1] منطقة مأهولة في الصحراء...وسكانها اعتادوا كثيرا الذهاب بسلعهم إلى بلاد السودان.... ، **للمزيد انظر**، حسن الوزان، مصدر سابق، ص 133.

[2] القشتالي، مصدر سابق، ص ص 75 76 .

[3] منطقة تقع بالجنوب الغربي للجزائر تضم عددا من القصور المنتشرة على أكثر من 700كلم ،واشهر تلك القصور هو قصر تمنطيط الذي ضل لقرون عاصمة لها، **للمزيد انظر**، مبارك جعفري، **حملة المنصور السعدي على توات في الجنوب الجزائري 989هـ _1581م وانعكاساتها على الصحراء والسودان الغربي ، العدد** مجلة السنغالية لدراسات العربية، الخامس، جامعة الشيخ أنتا جوب دكار، السنغال، 2018، ص 20 .

[4] القشتالي، مصدر سابق، ص 76.

[5] رياض زاهر، مرجع سابق، ص 186.

وفي زمن أسكيا "**إسحاق بن داوود** "عندما كان المنصور في فاس يحاول القضاء على تمرد نشب في شمال العاصمة أثناء ذلك وصل إلى قصره "**ولد كرنفل**"[1]، يحمل رسالة إليه يعلمه ما عليه أحوال سنغاي من الطبائع الذميمة وضعف القوة فاستغل المنصور هذه الدعوة وتشجع في بعث رسالة إلى "**أسكيا إسحاق** "ينبأه بوصول السجين الهارب وطلب منه مرة أخرى أن يسلم له في خراج ملح "**تغازة**" وأن يعطيه على كل حمل مثقال ذهب فكان جوابه الرفض وبعث له صحبة جوابه حرشانا ونعلين من حديد ومعنى هذا إنه ليس بيننا سوى الحرب[2].

أما المنصور وجد في جواب أسكيا والأخبار المتوفرة لديه عن تصدع سنغاي الفرصة الذهبية فقام بدعوة للقيام بعقد إجتماع المؤلف من العلماء والأعيان والوزراء والحكام وزعماء الأقاليم وأعلمهم بمشروع الحملة وأوضح لهم الهدف منها وأكد لهم بأنها في صالح المغرب والمسلمين وأن ملك سنغاي لا يتصف بفضائل الأمراء ولا ينتسب لقريش ولكنه أصر على رأيه وأرغمهم على الموافقة على المشروع بالقوة والقهر والتهديد [3].

[1] هو ونجي من السودان كان إسحاق الثاني قد نفاه إلى بلدة تغازه ولما خاب أمله في العثور على الشريف كتب له رسالة إنه هو أخو أسكيا وهو سلب منه العرش والتمس منه من المنصور أن ينصره ، **للمزيد انظر**، بوفيل روبن هاليت، مرجع سابق، ص 278.

[2] السعدي، مصدر سابق ، ص ص 137 138.

[3] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 98.

أ/ إعدادات الحملة.

عمل المنصور على تشكيل هيئتين لقيادة أحدهما عسكري وأخرى مدنية ووضع جودر على رأسيهما[1]، ونلاحظ من خلال تتبعنا لقيادة الجيش أن أغلبهم كانوا من جنود المرتزقة الذين تم تجنيدهم فيما بعد في الجيش وهذا ولا يخفى علينا الانتصار الذي حققه المغاربة في معركة واد المخازن1578م ضد القوات المسيحية[2].

وبلغ عدد أفراد القوة التي صحبها جودر ألفان من المشاة المسلحين بالبنادق وخمس مائة من الخيالة مماثلة وألف من راكبي الجمال ،كما زودت الحملة بست مدافع كبيرة وعدة قطع من الحجم الصغير وتكونت وسائل النقل من ثمانية ألف جمل وألف من الخيول الحمل[3]، وإلى جانب ذالك حرص على استمالة علماء السودان والتعاون معهم خاصة قاضي "**تنبكت**" "**عمر بن محمد بن عمر**" (المسموع الكلمة) الذي بعث إليه 998هـ يعرض عليه الدخول في طاعته التي أوجب لنا بها الله سبحانه على الخلق السمع والطاعة وليطلب من دعوة السودانين إلى إمامته لتكون أولى من لبى داعيها[4].

[1] هو شاب قيل أنه من أصول إسبانية أو برتغالية نشأ في لاس سوفياس في غرناطة وكان قد أسر وهو طفل أثناء غارة من القرصان على الشاطئ الإسباني حتى بلغ أشده في القصر المالكي، **للمزيد انظر** ، بوفيل روبن هاليت، مصدر سابق، ص ص 280 281.

[2] محمد الغربي، مرجع سابق، ص ص 205 206.

[3] مادهو بانيكار، مرجع سابق ، ص 159.

[4] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص ص 158 159.

ب / سير الحملة.

وخلال النصف الأول من القرن 16 بدأت الحملة مسيرتها بطريق مارة "**بتندوف**" و"**تغازة** "و" **تاوديني**" وبعد مسيرة 135 يوما وصلت إلى مدينة" ك**اربارا**"[1]، ولما سمع أسكيا إسحاق بأنباء تحرك الجيش السعدي وبلوغهم نهر النيجر لمدة وجيزة، ومما يستشف من خلال ماذكرته لنا الكتابات التاريخية أن القوات العسكرية المغربية تميزت بالحنكة العسكرية ويتبين هذا عند تتبع مسار الحملة المغربية إلى الطريق الذي اختاره كان يوحي أنهم ينوون الغزو من جهة الغرب لذلك استعدوا لردم الآبار من تلك الناحية ثم علم أن المغاربة قد تركوا طريق "**ولاتة**" عن "**أروان**" وتحركوا نحو الجنوب لذا سحب أسكيا إسحاق جيشه من الغرب و دعا إلى عقد اجتماع[2].

فالبعض منهم تصور أن هدفه مدينة "**تنبكت**" والبعض الآخر مدينة "**جاو**" ولكن مجلس الحرب انطلق دون أن يقرر الترتيبات التي ينبغي السير عليها واتخذ إسحاق قرارا مهما بإرسال أوامره إلى الصحراء بردم الآبار التي يحتمل أن يبحث عن الماء إلا أن الأوامر لم تصل إلى رؤساء وبعد أيام إستأنف جودر السفر مع رؤساء بإتجاه "**جاو**" وفي طريقهم هاجمو الطوارق وردوهم على أعقابهم[3].

أين إصطدموا مع مجموعة من الجيش السوداني وبعدها التقى الطرفان في معركة "**تونديبي**" وانتهى بهزيمة جيش أسكيا إسحاق وفي هذا الوقت سمحت الفرصة للمغاربة بتجريد القتلى من الحلي وفي ظل هذه الأحداث تم فرار الكثير من السكان عن مقر سكناهم نتيجة الهول والهلع الذي بثه الجيش السعدي في نفوسهم[4] .

---

[1] هي احدى مدن النيجر بالقرب من مدينه بمبا الحالية ، **للمزيد انظر**، مادهو بنكار، مرجع سابق، ص 160.

[2] بوفيل روبن هاليت، مرجع سابق، ص ص 289 290.

[3] بوفيل روبن هاليت ، مرجع سابق ، ص290.

[4] السعدي، مصدر سابق، ص 141.

ومما هو جدير بالذكر أن أول عمل قام به" **جودر باشا** "هو سيره إلى عاصمة "**جاو**" وقد دخلها فوجدها خالية من سكانها سوى الفقهاء وبعض الدعاة والمدرسين والطلبة ثم توجه إلى تنبكت ودخلها[1] ، وهنا تحولت القضية المغربية مع بلاد السودان وتحديدا مع سلطان مملكة السنغاي من منعطف الحرب إلى إستعمال أسلوب المفاوضات الذي لجأ إليه أسكيا مع جودر باشا فعرض عليهم التخلي عن استرداد الملح والأصداف النقدية وعرض على جودر عشرة آلاف مثقال من الذهب ومئتين عبد مملوك اذا عادو وجيشه فورا الي المغرب[2] وبمجرد أن إستلم أسكيا إسحاق ضن جودر أن مهمته انتهت فأرسل تقرير إلى المنصور أكد لمولاه متاعب الرحلة في الصحراء وعلى المأزق المؤسف الذي هم فيه وإن البلاد فقيرة وإن مدنها ليست إلا قرى صغيرة يلتقي فيها التجار أما الذهب فإنه يأتي به آخرون من مناطق مجاورة بعيدة مجهولة لدى معظم سنغاي [3].

بعدما أرسل "**جودر باشا** "إلى المنصور بخصوص مصدر و أهمية السودان بعد ذلك أصدر هذا الأخير بيانا كاذبا يوجد فيه إنجازات الجيش الذي أثاره البيان قد خفت بعض الشكوك في تعين قائد جديد وأنه كان يثير القلاقل ومن جملة الأنباء أن الشريف عرض على السفير التركي رأس "**آسكيا إسحاق**"[4] ، جاء رد المنصور بالرفض وعزل جودر باشا من القيادة العامة وحمل رد السلطان باشا جديد هو "**محمد بن زرقون**" 999هـ_1551م[5].

فما إن تسلم القيادة من جودر حتى أخذ يعد جيشه للحرب في تنبكت فقام بتخريبها تماما وبذلك يمكن أن نقول أنه أكمل ماقامت به قبائل الموشي (الموسي) عند غزوها

---

[1] محمد ألفا جالو، مرجع سابق، ص 294.

[2] محمد الصغير اليفراني، **نزهة الحادي لاختبار ملوك القرن الحادي**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، ط1، (د، د،ن)، الرباط، 1998، ص167.

[3] عبد القادر زبادية، الحضارة العربية... ، مرجع سابق، ص 48.

[4] بوفيل روبن هاليت، مرجع سابق، ص 297.

[5] هو محمد إ بن زرقون من أصل اسباني وقيل برتغالي نشأ في بلاط السعدي بمراكش وقد أسند إليه المنصور قيادة الجيش المراكشي المشتبك في السودان الغربي وذلك بعد عزل الباشا جودر وقد تمكن من هزيمة آخر حكام سنغاي أسكيا إسحاق الثاني ، **للمزيد أنظر**، محمد مولاي، مرجع سابق ص 30.

"**لتنبكت**" وعليه فما قام به "**ابن زرقون** "هو ترك بعد ذلك حامية عسكرية في" **تنبكت**" وخرج هو وبقية الجيش متتبعا الضفة اليسرى لنهر النيجر يبحث عن "**أسكيا إسحاق** "ولم يلبث أن لقى مقاومة من جيش أسكيا إسحاق وهرب العدو ولكن تمكن من تتبعهم واستطاع مطاردتهم فكان القضاء التام على جيش سنغاي وانفصل أسكيا إسحاق عن قوته وقتله قبائل الطوارق .[1]

[1] رياض زاهر، مرجع سابق، ص ص 210 211.

ثالثا: نتائج الغزو المغربي .

أ/ نهب ثروات سنغاي وخرابها الاقتصادي.

إن الحملة المغربية لم تجد تلك الكمية من الذهب التي كانت تروج لها الأخبار وبالتالي فإن إهتمامها بالمنطقة لما يبقى كما كان في الأول فقد أهملت العديد من الحاميات المغربية الموجودة في السودان التي كثيرا ما اندمجت مع سكان المحلين[1].

كما أن الباشوات المغاربة عاشوا فسادا في تنبكت مركز الثقافة العربية الإسلامية فقد خربوها وأهملوا قراؤها وعلمائها وكثير منهم من أخذه إلى بلاد المغرب مثل " **أحمد بابا التنبكتي** " وعلى هذا الأساس لجأ حكام المغرب وعساكره إلى فرض ضرائب كبيرة واستعمال القوة في جمعها وكان المنصور يشاهد التجار الذين يحضرون منذ قرون كميات هائلة من الذهب السودان الغربي ويملأون بها أسواق المغرب ويصدرونها للخارج فإنه بمجرد إخضاع دولة سنغاي ستصبح مناجم الذهب في قبضته ويحقق أحلامه بالتوسع[2].

وبالتالي فقد خابت آمالهم نتيجة كميات الذهب الموجودة في بلاد السودان التي لم تستهوي المغاربة وحدهم فقط وإنما حتى الأوربيون فالرحالة والجغرافي ريني كابيه جاء خصيصا لذلك.

[1] بوفيل روبن هاليت، مرجع سابق، ص 322.

[2] محمد ألفا جالو، مرجع سابق، ص334.

ب /النتائج الاجتماعية.

ومما شهدته الحالة الاجتماعية من تدهور أنه قد ذبح الناس مثل ذبح النعاج وقتلوا في الشوارع أعدادا كبيرة، أما العلماء فتمت محاصرتهم في المساجد، وقد ذكر السعدي قائمة أسماء العلماء الذين قتلو في هذا الحصار ومن تبقى منهم أسروا إلى مراكش كان أبرزهم الفقيه "**أحمد بابا التمبوكتي**" كما فرض الضرائب الباهضة على عدد السكان بلاد السودان من قبل" **جودر باشا**" وإن رفضوا يتعرضون للضرب والقتل... وكان سلطان مراكش يتلقى كل عام مئة ألف ذهب من الضرائب من قبل السكان، ومما يلاحظ بعد استقرائنا الأحداث التاريخية فيما بعد أنه قد تم امتزاج الجنود المغاربة بالسكان السودانيين[1] .

ومما أثر في الجانب الاجتماعي أنه قد انتشر الطاعون في تنبكت الذي قضى على نصف سكانها بالإضافة الى تفكك البلاد التي أل الحكم فيما بعد إلى رجال القبائل حيث عم الضعف ولما أدرك المغاربة قلة الفوائد من وراء هذه الحملة والحروب كفوا عن إرسال الجند والمؤونة اللازمة إلى قواتهم وتركو هذه القوات تقرر مصيرها، فنشأت طبقة محلية من الجنود المحاربين عرفت بإسم أرما وتدين بالتبعية الإسلامية لسلطان مراكش وهي مزيج بين البربر وأهل البلاد[2] .

وكانت هذه الطبقة تختار من بينها زعيما أو قائدا يمنحونه لقب باشا ويساندونهم في محاولتهم السيطرة على البلاد، وقد سمحو بأن يدخل أبناء السودان الغربي لكي يشغلوا مناصب صغيرة أما مناصب الضباط فبقيت وقفا للمغاربة، ثم بعد ذلك على أبنائهم من الزوجات السودانيات وكان هؤلاء الباشوات منصرفون إلى جمع المال وحمل الزعماء المحلين على دفع إتاوة، إلا أن نفوذهم أخذ يتلاشى تدريجيا لاعتمادهم على الجيش الذي كان يعزلهم متى شاء، وقد بلغ عددهم بين عامي 1660_ 1750م نحو 128باشا، وفي عام 1612م

[1] السعدي، مصدر سابق ص 135، **وللمزيد أكثر**، نعيم قداح، مرجع سابق، ص, ص 77 78.

[2] محمد فاضل علي باري, مرجع سابق، ص123.

انفرد بشاوات تنبكت بالبلاد وقطعو الضرائب عن سلطان المغرب، ولم يلبث جنود المغاربة أن امتزجوا مع السكان الأصلين[1]،

وبالتالي عاشت هذه الطبقة فسادا في تنبكت ومركز الثقافة العربية الإسلامية فقد خربوها وأهملوا قراها وعلامائها وكثير منهم أخذ إلى بلاد المغرب مثل" **أحمد بابا التنبكتي**" وبالتالي خيبت أمالهم نتيجة كميات الذهب الموجودة في بلاد السودان التي لم تستهوي المغاربة وحدهم فقط و حتى الأوربيون فالرحالة والجغرافي "**رمي كابيه** "جاء خصيصا لذلك وفليكس ديبوا وغيرهم .

[1]محمد فاضل علبي باري ،مرجع سابق ،ص 123.

ج /النتائج العسكرية .

نتيجة سقوط جيش سنغاي ظهرت فوضى وانتشار العصابات وقطاع الطرق كما أن القبائل التي كانت تحت نفوذ سنغاي بدأت تتحرر وتنفصل عنها تديريجيا، ومقابل ذلك تعرض الحاضرة الثقافية للمملكة وهي تنبكت لغزو البمبارا التي أحدثت فيها نهبا وتخريبا، ومن جهة أخرى كانت قبائل الطوارق هي الأخرى تقوم بغزو ونهب تنبكت من حين لآخر[1].

وكان موقف السلطة الثقافية من العلماء والتجار من جراء هذه الأوضاع هي تخويفهم إذ كان في جني يراقبون بلهف وتلهف الأحداث السياسية حيث قام بحملة تأديبية ضد القبائل التي أثارت الاضطرابات في المنطقة، لكن في عام 1953م تمكن المغاربة من السيطرة على الأوضاع تماما[2].

[1] بوفيل روبن هاليت، مرجع سابق، ص 340.

[2] نفسه ، ص ص، 305 306.

د/ النتائج الثقافية العلمية .

إن تراجع المستوى الثقافي لمملكة سنغاي هو سبب آخر كان ينخر ملك الأساكي ومن جهة أخرى ماقام به "**ابن زرقون**" قائد الجيش المغربي حين وصوله إلى "**تنبكت**" بإلقاء القبض على بعض العلماء كان أهمهم الشيخ "**محمد بابا عمر**"،"**سيدي الشريف أحمد المغيلي**" فقتادهما بنفسه إلى سوق "**تنبكت**" وأصدر الأمر بقطع أيديهما وأرجلهما بفاس[1].

وهذا مايفسر لنا وحسب رأي هو إنتهاك حرمة العلماء وهي سياسة تهدف إلى القضاء على طبقة العلماء التي كانت تفتي بعدم شرعية غزو سنغاي أصبحت المنبر العلماء السودان أن هذه الغزوة لم تكن جهادا ولا فتكا وإنما اعتداء صارخ على المسلمين بالإعتماد على النصارى كما أراد ملك المغرب من خلالها أن يقضي على المرجعية السنغالية في العلم التي كانت تنافس المغاربة بالإضافة إلى رغبته في كسب بعض علماء السنغاي لصفه مثل "**أحمد بابا**"، ومما أصدر الحاكم بعد ذلك من مجازر ردعية وسياسة عنيفة ضد العلماء أنه أمر بتفتيش جميع المنازل بحثا عن الأسلحة وكان مرد ذلك سماعه بأن عامة الشعب قد هربوا أموالهم إلى منازل الفقهاء التي كانت آنذاك أكثر أمنا من تركها في بطش وضياع جيش المنصور السعدي وفي ضل هذه الأحداث كان يسعى قائد الجيش المغربي إلى إعطاء البيعة لسلطانه "**المنصور**" من قبل سكان بلاد السودان حيث قام بتجميعهم بمسجد "**سنكوري**" للحلف على نفسه بيعة السلطان "**أحمد المنصور**" كما تم الحديث عن هذا الأمر سالف الذكر[2] .

وعلى هذا ولا يخفى علينا أن فئة العلماء كانت هي الفئة المستهدفة في هذا السياق حيث قسمهم إلى ثلاث دفعات للبيعة ،في اليوم الأول جمع أهل "**توات**" **وفزان**"و"**جني**" وفي اليوم الثاني أهل مدينة "**ولاتة**" ومدينة "**ودان**" وفي اليوم الثالث اجتمع الفقهاء كلهم، فأغلقت أبواب المساجد وأحاط الرماة على الأبواب والأسطح والطرق المؤدية إلى المساجد وتم إخراج

[1] محمد الفا جالو، مرجع سابق، ص325.

[2] نفسه،ص326.

الناس ،أما مصير الفقهاء وأصحابهم وأتباعهم تم القبض عليهم وأسرهم كما قتل منهم خلق كثير وسجن البعض الاخر ثم بعد ذالك دخل "محمد بن زرقون" دورهم فأخذ الأموال وكل شيء ثمين وقد أمضى في السجون ستة أشهر في السجون قبل تغريبهم وإرسالهم إلى مراكش مكبلين وهذا يعني أنه قد عمل المغاربة على إخراج وإنهاك الحالة الثقافية سلبا على ما كانت عليه[1] .

ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء العلماء قد أرسل معهم أولادهم ومواليهم من النساء والرجال ومكتباتهم معهم وقد تجاوز عدد العلماء وحاشيتهم مائةوسبعون عالم، كان منهم العالم والفقيه التنبكتي المعروف "**أحمد بابا**" وأدت هذه الحادثة إلى هروب معظم علماء "**تنبكت**" من وجه الحكم السعدي" حيث هاجر بعضهم إلى مصر والحجاز والبعض الآخر إلى مناطق نائية في أطراف حدود الدولة الجنوبية لدولة وفي ظل هذا السياق قام "**ابن زرقون**" بإرسال إلى المنصور السعدي بعض العلماء "**تنبكت**" الذي قام هذا الأخير بتهديدهم وأجبرهم على الشهادة فرضي البعض منهم والبعض الاخر رفض شهادة الزور[2] .

[1]. أمنة محمد الذايبات، "**أحمد بابا التنبكتي ومنهجه في كتابة نيل الابتعاد بتطريز الديباج**"، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثالث، العدد الثالث، (د ب)، 2016،ص 418.

[2] محمد ألفا جالو ، مرجع سابق ، ص ص 326 327.

الفصل الثالث

تداعيات سقوط سنغاي

تمهيد

قد نتج عن حركة تصدع مملكة سنغاي عدة نتائج وخيمة بصفة خاصة وغرب إفريقيا بصفة عامة حيث كان لسقوطها أثر جلي وواضح حيث شمل جميع الجوانب وتفككت وانقسمت البنية الإجتماعية والدينية وحتى السياسية لشعوب منطقة غرب إفريقيا .

أولا: سياسيا.

1- ظهور ممالك منفصلة عن إمبراطورية سنغاي .

أ/ مملكة الكانم بورنو.

ظهرت مملكة الكانم بورنو منذ فترات زمنية موغلة في القدم كان لها دور حضاري في منطقة التشاد أو مايعرف تاريخيا بالسودان الأوسط وتعاظم مجدها أكثر واستحواذها على مناطق وعرش شعوب غرب افريقيا تقريبا إلى غاية نهر النيجر طبعا هذا بعد تدني وضعف مملكة السنغاي بعد الغزو السعدي لها 1591.

وفي سنة 1237 م سجلت لنا الكتابات التاريخية زيارة سفارة كانمية إلى بلاد المملكة الحفصية هنا كسبت نوعا أخر من القوة والنفوذ. [1]و قد بلغت مملكة الكانم بورنو أوج مجدها أيام "**إدريس ألوما** " واشتهرت بعدد كبير من العلماء وأتقن معظم سكانها قراءة القرآن بأحكامه، إلى جانب مساهمة هؤلاء العلماء في دور المجلس الشوري لدى الملك وحاشيته حول القضايا التي تتعلق بمختلف الجوانب[2]

وفي القرن 16 م استطاعت أن تقف في وجه مدينة "**كب**"(أحد امارات الهوسا)، وقد عرفت مملكة الكانم بورنو صراعات ونزاعات حادة مع بلاد الهوسا مع نهاية القرن الثامن عشر ومع بداية مطلع القرن التاسع عشر [3]

[1] حسن إبراهيم حسن ، **إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربها** ،(د،ط)،(د،د،ن)،(د،ب)، 1957،ص 86.

[2] عثمان باري نار باري ، مرجع سابق ، ص 86

[3] حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص 84

ب/ **مملكة ماسينا.**

عرفت مملكة ماسينا[1] مكانة مرموقة نهاية القرن 18 م على يد مؤسسها "**أحمد لوبو الماسيني** "الذي رحل إلى مدينة جني حيث واصل تعليمه بها [2]

وبعد النجاح الذي أحرزه لقب نفسه بأمير المؤمنين وأسس عام 1815 م مدينة حمد الله على الضفة الشرقية لنهر النيجر واتخذها عاصمة لدولته التي ضمت مالي و بوركينا فاسو[3]

وفي سنة 1817م أرسل أحمد لوبو بعثة إلى سكوتو لتلتقي بالسلطان محمد بيلو وقد لاقت هذه البعثة كل الترحاب من سلطان سكوتو، وحتى عام 1838م ظل يأتي إليها التجار من كل الأنحاء نظرا لاستقرار نظامها وتمتع حكامها بسمات طيبة بالإضافة إلى العدل، وبهذا الأسلوب استطاع تلقين شعوب المنطقة الثقافة الدينية الإسلامية. [4]

كما شجع إنشاء المدارس التي وصل عددها 60 في عاصمة حمد الله وحدها، وعلاوة على ذلك قام ببناء المساجد في كل قرى ويقوم بالإمامة بنفسه لناس يوم الجمعة ويلقي الدروس في الحديث والتفسير [5]

---

[1] هي اليوم ضمن جمهورية مالي تقع في الشمال من مدينة جني يرجع أصل ملوكها إلى مملكة كم . للمزيد أنظر ، الهادي مبروك الدالي ، **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرنالخامس عشر إلى بداية القرن م18**، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،1999 ، ص 120.

[2] ولد عام 1775 م في منطقة ماسينا وهو ينتمي إلى عشيرة مسلمة من عشائر الفولاني تلقى ثقافته الإسلامية من شيوخ أسرته ، **للمزيد أنظر** ، محمد فاضل علي باري ، سعيد إبراهيم كردية ، مرجع سابق ،ص211 .

[3] يحي يوعزيز ، مرجع سابق ، ص 128.

[4] عثمان باري مار باري ،مرجع سابق ، ص ص 92 158.

[5] يحي بوعزيز، مرجع سابق ، ص 129.

ج / مملكة سكوتو.

تعد عاصمة سكوتو[1] العاصمة الأولى لخلافة الفودية الإسلامية في نيجيريا قامت على أنقاض إمارة غوبير (الإمارة الوثنية) التي قامت بدور بارز ومهم في القضاء على البدع والعادات الوثنية ونشر الدين الإسلامي والثقافة العربية ومن أبرز مصلحيها ومجدديها الشيخ عثمان دان فوديو وأخوه عبد الله والسلطان محمد بلو الذي تلي له الخلافة 1817م ليقوم هو الأخر بدور حضاري في منطقة غرب إفريقيا [2].

[1] تقع بين خطي عرض 10 –14شمالا ويجري فيها نهر سكوتو ، **للمزيد أنظر**، محمد مصطفى الشعيني، **نيجريا الدولة والمجتمع** ،(د،ط) ، دار المهمة العربية ، (د،ب) ،1974،ص77.

[2] أبو الحسن علي السماني ، **تطبيق نصوص السياسي الاسلامي في دولة سكتو الاسلامية** ، (د، ط) ،هايل لطباعة والنشر والتغليف الخرطوم ،(د، ت) ، ص 23 .

ثانيا: بداية الأطماع الأوروبية على بلاد السودان الغربي.

أ/ الكشوفات وبداية الاحتكاك الأوروبي بغرب إفريقيا .

كانت علاقة الأوربيون بإفريقيا قبل القيام بحركة الكشوف الجغرافية في القرن 15م مقتصرة على معرفة قليلة على السواحل الإفريقية ولم تكن الأجزاء الداخلية لإفريقيا معلومة لهم حيث تمكنهم من التوغل إلى إفريقيا منها :عدم صلاحية بعض السواحل الإفريقية للملاحة حيث تقل فيها الرؤوس والخلجان إلى جانب عدم وجود جزر كبيرة في المحيطات تساعد على استمرار الرحلات الاستكشافية وتكون بمثابة محطات للوقود وتجديد للنشاط والتزود بالمواد الغذائية، كما لاننسى عامل المناخ الإستوائي الذي جعل الأوربيون يتوغلون إلى الداخل، والمعروف أن تدني الطقس الإستوائي والمداري لا يتناسب مع الأوربيون الذين تعودوا على الطقس البارد بالإضافة إلى وجود بعض الأمراض الفتاكة كالملاريا والجذام ومرض النوم [1].

وشهدالرحالة والمستكشفون في رحلاتهم الكشفية والجغرافية قام بأسلوب التنكر الذي مارسه جميع الرحالة دون إستثناء، فضلا عن هذا أنهم يتقنون لغات ولهجات السكان الوطنين فكان الواحد يتقن أكثر من لغة والجدير بالذكر أن هؤلاء المكتشفون لم يأتون إلى إفريقيا حبا لها ولكنهم جاؤوا من أجل مصالح بلادهم التي كانت في أمس الحاجة إلى تحقيق هدفين أولهما فتح أسواق جديدة في إفريقيا، لتوزيع الفائض من إنتاجهم الصناعي، وثانيهما أنهم كانوا في حاجة للولاء الخاص الموجود بوفرة في هذه القارة و يمكن القول أن مرحلة الكشف الأوروبي لإفريقيا منذ نهاية القرن الخامس عشر ميلادي بمثابة بداية أولية للإستعمار [2] .

[1] فيصل محمد موسى ، مرجع سابق ، ص ص 63 64 .

[2] جوان جوزيف ، مرجع سابق ، ص 13.

وبذلك كانت البرتغال أسبق الدول الأوروبية مجيئا إلى إفريقيا وذلك بعد تأسيس النظام المعروف باسم الدولة الوطنية الحديثة في مطلع العصر الحديث فكان على هذه الدول أن تحقق التوسع والتفوق على غيرهما من الدول الأخرى وكان هذا لا يأتي إلى بالتوسع القاري، وإلى جانبه التوسع الخارجي [1].

وقد كان اهتمام البرتغالين محصورا على المناطق الساحلية ولم يتوغلوا في المناطق الداخلية حيث كان هدفهم التجارة واكتفوا بالمناطق الساحلية واعتمدوا على حكام ورؤساء القبائل المحلية لتزويدهم بمنتجات المناطق الداخلية . [2]

حيث قاموا بتأسيس بعض المراكز التجارية أهمها ميناء "**أركين** "، وبعدها سيطرو على مصب نهر السنغال والرأس الأخضر وبدأوا يتصلون بتجار الذهب والرقيق ويدعونهم لتوجه نحو المراكز الناشئة على شواطئ المحيط الأطلسي وترك المراكز التجارية الصحراوية التي كانت قوافلها تتجه نحو الشمال الإفريقي، وعندما لاحظوا إقبال السودانين على استهلا ك البضائع الواردة من أوروبا عبر مراكزهم صاروا يقومون بدور الوسيط التجاري إي نقل بضائع الشمال الإفريقي عبر المحيط الأطلسي وعرضها في مراكزهم التجارية على سواحل المحيط الأطلسي إلى مراكزهم الناشئة، فحاولوا الوصول مباشرة إلى هذه المراكز الصحراوية التي ازدهرت نتيجة الاتصالات التجارية المنتظمة مع المراكز التجارية بالشمال الإفريقي والمشرق العربي . [3]

ومن أهم هذه المحاولات إقامة مصرف تجاري برتغالي في مدينة ودان 893هـ 1487 م، لكن هذه المؤسسة فشلت لعدم تعاون سكان المنطقة معها ثم توالت بعد ذلك المحاولات الأوروبية بإنشاء عدد من المراكز التجارية على السواحل الغربية للمنطقة وذالك لاستفادة من التجارة الصحراوية المزدهرة[4]

ولم تقف الأمور عند هذا الحد باحتلال المراكز الساحلية وإنشاء المراكز التجارية عليها وجذب أجزاء كبيرة من التجارة الصحراوية إليها، بل تمادت إلى التغلغل في عمق السودان الغربي ذاته وفي نفس الوقت اعتمد البرتغاليون إلى عقد صلات مع حكام "جاو" في مخطط كان يهدف إلى تطويق السلطة

---

[1] جوان جوزيف ،مرجع سابق ، ص 11 .

[2] مادهو بانيكار ، مرجع سابق ، ص 237.

[3] سعد غيث مطير أحمد ، مرجع سابق ، ص ص 98 99.

[4] نفسه ، ص 99.

السعدية من الناحية الجنوبية عن طريق عقد سلسلة من تحالفات بين هذه القوى الأوروبية وحكام مملكة سنغاي وفضلا عن ذلك انتهز البرتغاليون في أواخر القرن 10هـ/16م فرصة ضعف مملكة سنغاي وتوغلوا في أعماقها وتاجروا بأعداد من البنادق مع بعض أهالي المنطقة [1]

ب/ ظهور الرق:

كانت أهم الدوافع التي خرج بها البرتغاليون من بلادهم هي الوصول إلى الهند بشاطئ إفريقيا الغربي وذلك بغرض التجارة و الحصول على البهارات والبخور و الحصول على الذهب الذي يتواجد بكثرة في غرب إفريقيا عند غنيا وساحل الذهب وعند اصطدامهم بالإ فريقين قبل منتصف القرن 15م استولوا على الرقيق منهم وحملوه إلى لشبونة واكتشفوا أن هذه التجارة مربحة فربطوا رحلاتهم الاستكشافية و الحصول على الرق في دفع مراكبهم الشراعية الضخمة واستطاعوا أن يعودوا بأعداد كبيرة منهم إلى أوروبا، وإقامتهم على طول الساحل الغربي قلاعا ومراكز لتزويد السفن وأخذ الرقيق الذي يبيعه إليهم الإفريقيون أنفسهم ، وهكذا كانت البرتغال أول من أسهم في جلب الرقيق إلى أوروبا وبعد ذلك انتقلت العدوى إلى بقية الدول الأوروبية[2]

وقد كانت تجارة الرق تجري بين الوكلاء الأوربيون والزعماء الأفارقة فكانوا يتبادلون العبيد بمواد يجلبونها من أوروبا على رأسها قضبان حديدية وحلق الأذنين وأقمشة وثياب وأطواف الكلاب مبرقشة وبعض الثياب القديمة بقليل من الكحول، وعدت البنادق جزء من التجارة التي كانت بثمن رخيص جدا بالنسبة لاقتصاد الأفارقة[3]

وبالتالي جلب التحول إلى تجارة الرق الدمار للمجتمعات الإفريقية وأشعل نار الحروب المحلية في الشمال والشمال الشرقي للحصول على المزيد من الرق مستخدمين الأسلحة النارية وتحول تبعا لذلك المراكز التجارية في غرب إفريقيا التي كانت تسيطر عليها الممالك الإسلامية أهمها مملكة سنغاي، حيث

[1] سعد غيث مطير أحمد ،مرجع سابق ، ص 105.

[2] فيصل محمد موسى ، مرجع سابق ، ص ص 78 79.

[3] عبد القادر سليماني ، **تجارة الرق في إفريقيا الغربية وانعكساتها الإستعمارية على السنغال بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر** ، المجلة الناصرية لدراسات الإجتماعية والتاريخية ، العددان 5و6، 2015، ص 216.

استقر التجار الأوربيون في المستوطنات على الساحل وأقاموا عليها حصونا تحميهم من غارات منافسيهم الأوربيون[1]

ومما يمكن الإشارة إليه أنه كان يتم الحصول على الرقيق عن طريق شراء الزنوج من الجماعات أو الأسر الإفريقية التي كانت تبيع أبنائها ، بالإضافة إلى أن هناك بعض الحكام والرؤساء كانوا يقومون بعملية الإغارة على السكان المحلين بهدف عرضهم للبيع، كما كانت بعض أسر القبائل تغير على بعضها البعض وإغرائهم وكان ذلك بداية عهد الاستعمار الأوروبي على أرض القارة الإفريقية [2].

وكان التنافس بين الشركات الأوروبية يؤدي بهم إلى وضع علامة حرق على أجسادهم لتميز فيما بينهم، وفي بداية القرن 18م ارتفع عدد الرقيق الإفريقي المصدر إلى رقم لم يبلغه من قبل إذ وصل عدد الرقيق المصدر إلى البرازفيل وحده 643 ألف سنة 1813م، كما وصل عندهم إلى جامايكا 300 ألف، ونقلا عن مصدر الكتاب لمؤلف "**عباس السلام الترمانيني** "أنه وجدت وثيقة أرشفية ما وراء البحار أن الإنجليز صدر بين عامي (1771– 1790م) نحو 22 عبد سنويا ثم كسدت تجارة الرقيق أثناء حرب الاستقلال الأمريكية ولكنها عادت إلى الانتعاش بعدما أصبح عدد مراكز تجارة الرقيق سنة 1791م أربعين مركزا تجاريا . [3]

حيث كان من بينها 14 مركزا بريطانيا وثلاث فرنسية و15 هولندية و أربعة برتغالية و أربعة دانيماركية، وقد تقلت هذه المراكز عام 1799م 38 الف إلى المستعمرات البريطانية ، فكان البريطانيون وحدهم إحتكروا في ذالك العام نقل نصف رقيق إفريقيا وقد بلغ 74 ألف وبالتالي يجب أن نشير إلا أن المستعمرات التي كانت خاضعة للكنيسة الكاثوليكية كانت تشجع الزواج الكنسي الكاثوليكي بين العبيد وبهذا منعت انفصال الزوجة عن زوجها وفي مقابل ذلك منعت الكنائس البروستانتية زواج العبيد.[4]

وقد ترتب عن العلاقات مع التجار الأوربيون اضطرابات سياسية واجتماعية حتى ذلك الوقت كانت السلطة السياسية في أيدي الدول المنظمة في الداخل ومع إدخال الأسلحة الأوروبية نمت قوة

---

[1] رؤوف عباس حامد ، **تاريخ إفريقيا الحديث** ، (د ،ط) ،كلية الأداب ، القاهرة ، (د،ت)، ص19.

[2] عباس السلام الترمانيني ، **الرق ماضيه وحاضره** ،(د ، ط) ، عالم المعرفة الكويت ، 1979,ص 46.

[3] عباس السلام الترمانيني ، مرجع سابق، ص 46.

[4] مجهول ، **نظام الرق عبر العصور**،(د، ط)، مركز زايد لتنسيق والمتابعة ،الإمارات العربية السعودية،2001 ، ص76.

الدول الساحلية وأصبحت تورد الرقيق للحصول على البنادق التي تستطيع مد سلطتها، ولم يكن الزنوج الذين واجههم الأوربيون على الساحل همجا أو نحو ذلك بل كانوا تجارا ممتازين ولديهم دول متحكمة في التنظيم، وكان بعض حكام ملوكها أقوياء بدائين حتى أن سفراء ورؤساء القبائل كانت لديهم الرغبة الكاملة في إستخدام القوة ضد الأوربيون[1]

ومما هو جدير بالذكر أنه قد أدى التنافس بين القوى الأوروبية وإحدى الجماعات الإفريقية إلى احتدام الصراع وبذلك انعكست على المجتمعات الإفريقية فجرت تحالفات وعليه فقد حرصت المراكز التجارية الأوروبية الموجودة على الساحل إلى عدم قيام كيانات إفريقية قوية في الداخل حتى لايتأثر تدفق الرقيق على الساحل ، ومن ثمة زحفوا بحلافائهم الأفارقة في المعارك ضد إخوانهم في الداخل والتي بدورها أثرت سلبيا على منطقة السودان الغربي في نقطتين، أولهما البقاء على التمزق السياسي في الداخل، وثانيهما الحصول على الرقيق مابين أسرى الحرب [2].

ج/الاتفاقية.

بعد توغل البرتغالين على المناطق الساحلية قامو بعقد إتفاقية بين بيومي[3]فقام ملك البرتغال بتكليف أحد أعوانه غنسال كوبير لتقديم الهدايا إلى بيومي رفقة رئيس البعثة الوفدية ومنذ ذلك الوقت ضلت السفن البرتغالية تتاجر باطمئنان في المنطقة وينتقل تجار الداخل لبيع البضائع واستمرت المعاملات بينهما فيبعون لبيومي الخيول والبضائع التي لم يتوقفوا عن تسويقها في الموانئ التي كان يشتريها بيومي بأثمان مرتفعة [4]

واعتبارا للمعاهدة المبرمة بين "بيومي " والبرتغاليون لم يستطع أن يؤدي ديونه لتجار البرتغاليون، وبعد إطلاع هذه الاخيرة على أوضاع السائدة أبرز تخوفه من ضياع الوقت والمال فأصدر ملك البرتغال أمرا بعودة "غنسان" دون إثارة أي قلق "لبيومي " فاستاء هذا الأخير من هذا القرار ورأى بضرورة

[1] مادهو بانيكار ، مرجع سابق ،ص 98.

[2] رؤوف عباس حامد، مرجع سابق ،ص 79.

[3] كان زنجيا أشتهر بعقده اتفاقية مع البرتغاليين، **للمزيد أنظرن**، مرمور كربخال،ص216

[4] مرمور كربخال، مرجع سابق،ص217.

المحافظة على المصداقية فأوفد بعد ذلك بهدايا مختلفة منها مائة عبد ذوي صحة جيدة وإسورة من الذهب الخالص كعربون لصداقة والمحبة بينهما[1]

ثانيا : إقتصاديا.

بعد الغزو المغربي لسنغاي 1591م شهد الاقتصاد السوداني تدهورا تجاريا حيث بعد هذا التاريخ أصبح الطريق من درعة إلى تغازة إلى تنبكت الطريق الملكي المغرب السعدين وغرب السودان وكانت نستخدمه البعثات العسكرية والقوافل التجارية التي ينظمها ويشرف عليها رجال السلطان السعدي ولم تمضي خمسون عاما على الغزو المغربي حتى عادت شبكة الطرق ترتد إلى ماكانت عليه في العصور الوسطى. [2]

ومما شهدته هذه الفترة هو انقطاع كبير للمراكز التجارية الشمالية أو التي كانت تابعة وتسيطر عليها مملكة سنغاي إذ أن الممالك السياسية التي كانت تابعة وتسيطر عليها مملكة سنغاي التي كانت قائمة في جهة نهر النيجر بدأت تنفصل مثل البمبارا تدريجيا في تجارتها عن سنغاي وتحولت في هذه الفترة بالتحديد نحو جهة الأطلسي، وهنا يمكن القول أنه أصبحت الطرق التجارية السودانية تبدأ مباشرة لعقد أخر مع الوجود الأوروبي أهمهم البرتغاليون[3]ومقابل ذلك كانت قوافل البربر من الشمال تصل إلى "سيغو "(عاصمة البمبارا الأولى) وإلى بينامينا، وهنا ظهر نشاط تجاري آخر على سنغاي السانسا ندنج ، وعليه فقد أصبحت البمبارا بالتدريج أقل تبعيه لجني في إمداداتها نحو الصحراء، كما أصبحت المسالك التجارية المسيطرة في هذه الجهة بلاد الهوسا وأغمات وأغاديس وطريق بورنو. [4]

والسبب الرئيسي لتدهور طرق القوافل كان بلا شك منافسة الطرق البحرية في البحر المتوسط، مادامت الطرق التجارية من الساحل الغربي إلى السودان قد فتحت ، وحمل إلى الأسواق الشمالية الذهب والعاج وريش النعام وهي كل ما بقي من تجارة الصحراء عن طريق جبل طارق ولكنه أرخص

---

[1] مرمول كربخال ، مرجع سابق ، ص ص 217 218.

[2] م. ابينبول، **نهاية إمبراطورية سنغاي، تاريخ أفريقيا العام (إفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر)**، إشراف: أ. أوغوث، (د،ط) ، اليونيسكو، مج 5، لبنان ، 1997, ص 364.

[3] م.ابينبول ،مرجع سابق ، ص 366.

[4] نفسه.

وأكثر أمنا وامتلاء أسواق السودان بالملح الأوروبي قضى على كثير من الطرق التجارية الصحراوية المحلية [1]

وكان الأثر السلبي لهذا لاختفاء النهائي لطريق التجاري التقليدي فمنتجات الواحات الزراعة المتواضعة التي كان يحصل عليها بأسعار غالية مع العائدات الضعيفة أصبحت هامة بالنسبة لاقتصاد الطوارق الفقير واستمرار استقلاله وعليه فإن السنغاي فقدت كثيرا من أجزائها في المسالك التجارية الخاصة بها، إذن يمكننا القول أنها قد ذابت هذه الموارد وأخذت الواحات تتكمش ولم تعد إلا قلة من القوافل لتزود بالجمال و البضائع وانتشرت عملية السرقة والنهب وانعدام الأمن لطرق التجارية صحراويا[2]

ومما يمكن التحدث عليه في مجال سيطرة المغرب على مناجم الملح أنه حين أخرج المغاربة السنغاي من تغازة في القرن السادس عشر فإنهم فتحو مناجم شهيرة وأصبحت إلى حد ما المورد الرئيسي لتموين ممالك السودان الأوسط وبالتالي فإن ممالك السودان الغربي فقدت ذلك الزخم التجاري وتطور حركة المبادلات والتي أصبحت في تراجع كبير . [3]

وفي عهد المغاربة أصبحت موارد الملح تحمل نهرا إلى بماكو التي وجدها بارك (المستكشف و الطبيب الإستكلندي) نقلا عن زاهر رياض أنها كانت تمون من "**تاوديني** " وبملح البحر ريو جرا ندي كما كانت مناجم الملح عرضة للهجوم من المغيرين وأصبحت تتحكم في تصديرها وا ستخراجها وكان الوضع السياسي السائد في الصحراء أي الوجود المغربي ومما ساد في تدني الحياة الاجتماعية لدى مستخرجي هذه المواد في عهد المسيطرة المغربية على سنغاي هو أنه في الكثير من المرات كان المشتغلون بها عرضة للموت إذ لم تصلهم المؤونة في الوقت المناسب ، كما حدث في بعض الأوقات في تاوديني حيث أدت هذه المخاطر إلى تصدير الملح من مراكش إلى السودان حيث بادله المغاربة بمعدل رطل من الملح مقابل أقية من الذهب[4].

[1] رياض زاهر، مرجع سابق، ص ص 300 302 .

[2] رياض زاهر،مرجع سابق ،ص 302.

[3] نفسه ، ص 305 .

[4] نفسه ، ص 306.

ثالثا: ثقافيا .

أ/ تصعيد دور البعثات التبشيرية في نشر المسيحية.

نتج عن حركة الكشوف الجغرافية استعمار مناطق عدة من آسيا و إفريقيا و أمريكا والتي كانت قائمة على أساس ديني هو محاربة الإسلام ، وكان المبشرون دورا هاما في استقطاب القوى الإستعمارية إلى إفريقيا فكانوا يدرسون هذه المجتمعات ويكتبون تقارير عن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثورات التي تزخر بها بلادهم، إلى جانب ذكر الأساليب التي يمكن انتهاجها لكسب ودهم[1].

_وكانت هذه التقارير تنتشر في الصحف الأوروبية وعلى ضوئها اتخذت الحكومات ما تراه مناسبا من إجراءات، وعند شعور الافريقين بخطورة الدور الذي يلعبه هؤلاء المبشرون وأنهم يمهدون إلى جلب الاستعمار أقاموا عدة ثورات ضدهم، ومن أمثلة هؤلاء المبشرون الذين كتبو عن إفريقيا الأب كمبوني الذي عمل بالتبشير في جنوب السودان وهو يتبع للكيسة الرومانية المقدسة ، والأب ماكاي الذي كان يعمل في ممباسا[2]

وعندما أدخلت البعثات التبشرية إلى غرب إفريقيا بمواكبة وحماية الاستعمار قد وجدت في الإسلام خطرا حقيقيا وندا قويا لنشاطها وجهودها، فعملت المؤسسات التبشرية التي تسندها أغنى الدول وأقواها بجهود كبيرة لإزاحت الإسلام من جذوره وذلك بمعالجة المرضى والتعليم العالي وتقديم العون المادي إلى جانب إنشاء مراكز الخدمة الاجتماعية إذ تحولوا من حرب الجنود والأسلحة ليشنو حرب لشويه وتخريب الإسلام في منهجه وتاريخه، فأضخم تأثير لثورة التبشرية هو ظهور صفوة متعلمة في إفريقيا، فبدأت طبقة من الأفارقة المتعلمين بالإنجليزية و الفرنسية في الظهور في المناطق الساحلية أولا ثم في المناطق الداخلية، وكانت نتيجة ظهور هذه الصفوة هي انبثاق الحركة الأثيوبية التي كانت حركة قومية إفريقية على الصعيدين الديني والسياسي، إلى جانب الثورة الثقافية [3].

---

[1] فيصل محمد موسى ، مرجع سابق ، ص 97.

[2] فيصل محمد موسى ،مرجع سابق،ص97.

[3] أ.أدو بواهن ،**القرن التاسع عشر في إفريقيا** ، **ضمن كتاب تاريخ إ فريقيا العام** ، المجلد6 ، المشرف على المجلد ج.أدي أجاي ، ط1،اليونيسكو،باريس، 1989، ص ص75 78 .

وفي أوائل عام 1876م توجه ثلاث أعضاء من هذه الجمعية" **كارينال لافيجري** "إلى مدينة تنبكت وضواحيها بقصد تنصير بالرغم من أصالة المنطقة، فلم يتمكنو من بلوغ هدفهم المنشود وتنفيذ مخططاتهم الماكرة التي بائت بالفشل ولم يقم بعد ذلك من رجال التبشير المسيحي بمعاودة المحاولة مرة أخرى[1]

وعليه كان عملهم قبل 1850م في إفريقيا الغربية يتمركز على عبيد الساحل الذين أمسك بهم الأوربيون، وكانت مهمة البعثات التبشرية الكاثوليكية تنحصر في أطراف السنغال أما المبشرون البروستانت في سيراليون وشاطئ الذهب ونيجيريا وليبيريا، وبالتالي كان بسعة هؤلاء المبشرون أن يحققوا الأهداف الروحية ولكنهم كانوا يتجهون بدهاء وحذر نحو المناطق التي يشعرون أن لبلادهم مصالح رابحة فيها. [2]

. _وقد فتح هؤلاء المبشرون مدارس التعليم العام والمهني وخلال القرن 19م بقي النشاط التبشير بعيدا كل البعد عن المراكز بالرغم من وجود أباء إ فريقين من أمثال "بروس فريمان " الشهير في شاطئ الذهب و "جوزيف ميريك "في الكامرون. [3]

ب/ إتلاف الكتب.

إستهدف الغزو المغربي فئة محصورة من علماء تنبكت التي شملت فقط عائلة أقيت الصنهاجية التي كان لرجالها سطوة ونفوذ في المجتمع الصنهاجي والتي اتهمت بخلق المتاعب للجيش المغربي، وقد أعدم بعض العلماء مع أتباعهم ونقل البعض الأخر إلى مراكش من بينهم أحمد بابا التنبكتي فكسرت ساقه وفقد في هذه المحنة ستمائة ألف مجلد[4].

وإن ما وقع في تنبكت لم يزد أن يكون حادثة سير في مسيرة الحركة العلمية بتلك المدينة ذلك لأن الباشا محمود بادر إلى تسعين قاضي جديد بدل القاضي المنفي، ورسم أئمة لبعض المساجد وحمل المدرسين على استئناف دروسهم التي توقفت لعدة شهور، وجراء تخريب العنصر المغربي لحاضرة تنبكت الإسلامية وتهجير علمائها خاصة منهم إلى المغرب عاد بالفائدة على الحكم السعدي في المغرب

[1] عثمان بريمار باري، مرجع سابق ، ص 79.

[2] جوزيف كي زاربو ، **تاريخ إفريقيا السوداء** ، تر: يوسف شلبي ، (د،ط)، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1998،ص705.

[3] جوزيف كي زيربو ،مرجع سابق ،ص 775.

[4] أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الدباج** ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامي ، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989، ص 13

الأقصى، حيث ساهم أولئك المهاجرون في الحركة العلمية بالمغرب فأخذوا وأعطوا الكثير من الأغراض، ولكن أهم مادة إمتاز بها نشاطهم العلمي هي التراجم وذلك لأنهم وجدو من المصادر حول إعلام الإسلام ما لم يكن متوفر في بلادهم فأعانهم ذلك على إغناء المكتبة المغربية أوالسودانية التي وضعت بمراكش تستنسخ ويتهافت التجار على شرائها لبيعها في السودان الغربي[1]

[1] محمد الغربي ، مرجع سابق،ص ص520 519.

خاتمـــــــــة

استطاعت مملكة سنغاي أن تثبت وجودها في منطقة السودان وغربه كجزء من العالم الإسلامي منذ أن وصل إليها الإسلام في القرون الأولى للهجرة، حيث مثلت رمزا حقيقيا لتقدمهم وكان القرنان التاسع والعاشر هجريين (الخامس والسادس عشر ميلاديين) فترة إزدهار المملكة دون منافس لها خاصة في عهد الأسقيين الذي استطاع تسيير شؤون المملكة في جميع جوانبها الحضارية.

ومع بداية حكم الأسقيين في أواخر عهدهم خلال القرن السادس عشر ميلادي، أصبحت كل الظروف والأوضاع مهيئة لغزو خارجي محتمل كان يتطلع إلى المنطقة من مطلع الخامس عشر إلى نهاية 1591م لتصبح المنطقة السودانية تحت الحكم السعدي.

حيث أصبحت حاضرة تنبكت الإسلامية مركز حكم لبشوات المغاربة، وهذا الأخير يعتبر مرحلة حاسمة في تاريخ الممالك والإمبراطوريات الإسلامية في بلاد السودان الغربي وعهد آخر مهد لغزو خارجي نصراني على المنطقة السودانية خلال العصر الحديث.

والصراعات الداخلية التي شهدتها العائلة الحاكمة لأسرة الأساقي وعدم حسن تسيير أوقعها في مشاكل أخرى خاصة وأنها لم تربط علاقات ودية وحسنة مع الممالك المجاورة مثل مملكة الكانم بورنو التي عرفت أوج عظمتها أنذاك فكان بإمكانها أن تتحد معها من جهة لظبط أمورها داخليا ومن جهة أخرى الوقوف معها وصد الغزو الخارجي للمنطقة.

شكل الغزو السعدي نقطة سلبية في تاريخ العصر الإسلامي الإفريقي كامل التقدم والازدهار الحضاري للمنطقة ومهد لعهد آخر مليء بالانتكاسات والتراجع والتخلف في جميع الأصعدة، كما كان وسيلة وفرصة أخرى للنصارى الموجودين على طول السواحل الغربية الأطلسية الإفريقية لبداية تسلل نحو الداخل ومن ثم ظهور مسألة التنافس الإستعماري.

ترتب على ضعف دولة سنغاي عدة نتائج مهمة على كافة الجوانب الحضارية فعلى المستوى السياسي كان من أهم نتائجها ظهور ممالك منفصلة عن دولة سنغاي.

أما على الجانب الاقتصادي فقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية في السودان الغربي وخاصة بعد تحول طرق القوافل التجارية وتغير مسارها عن العهود في عهد الماليك الإسلامية الأولى وانفصال المراكز التجارية عن دولة سنغاي منها البمبارا.

أما فيما يخص المستوى الديني فقد ظهرت حركات التبشير بالديانة المسيحية والتي عمدت على عودة الإسلام السطحي والوثنية ، وتكرس النشاط التبشيري المسيحي عن طريق إنشاء المدارس ومساعدة المرضى وتقديم العون المادي للعامة كلها إغراءات فقط ساهمت بدور كبير في إزدياد قدوم المبشرين الى غرب إفريقيا.

الملاحـــــق

الملحق رقم 01:

قائمة بفترات حكم سلاطين

دولة صنغي الإسلامية

من (٨٦٩ – ١٠٠٠هـ) (١٤٦٤ – ١٥٩١م)

م	الاســـم	التاريـــخ
١	سُني علي	(٨٦٩ – ٨٩٩هـ / ١٤٦٤ – ١٤٩٣م)
٢	الأسكيا محمد الأول (الكبير)	(٨٩٩ – ٩٣٤هـ / ١٤٩٣ – ١٥٢٨م)
٣	الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد الأول	(٩٣٤ – ٩٣٧هـ / ١٥٢٨ – ١٥٣١م)
٤	الأسكيا محمد الثاني (محمد بنكن)	(٩٣٧ – ٩٤٣هـ / ١٥٣١ – ١٥٣٧م)
٥	الأسكيا إسماعيل بن الأسكيا محمد الأول	(٩٤٣ – ٩٤٦هـ / ١٥٣٧ – ١٥٣٩م)
٦	الأسكيا إسحاق الأول	(٩٤٦ – ٩٥٦هـ / ١٥٣٩ – ١٥٤٩م)
٧	الأسكيا داوود بن الأسكيا محمد الأول	(٩٥٦ – ٩٩١هـ / ١٥٤٩ – ١٥٨٢م)
٨	الأسكيا محمد الثالث بن الأسكيا داوود	(٩٩٠ – ٩٩٥هـ / ١٥٨٢ – ١٥٨٥م)
٩	الأسكيا محمد الرابع بن داوود	(٩٩٥ – ٩٩٦هـ / ١٥٨٦ – ١٥٨٨م)
١٠	الأسكيا إسحاق الثاني بن داوود	(٩٩٦ – ١٠٠٠هـ / ١٥٨٨ – ١٥٩١م)

جدول يوضح أهم سلاطين وحكام مملكة سنغاي الإسلامية في عهد حكم أسرة الأساكي[1].

[1] محمد مولاي، مرجع سابق، ص392.

الملحق رقم 02:

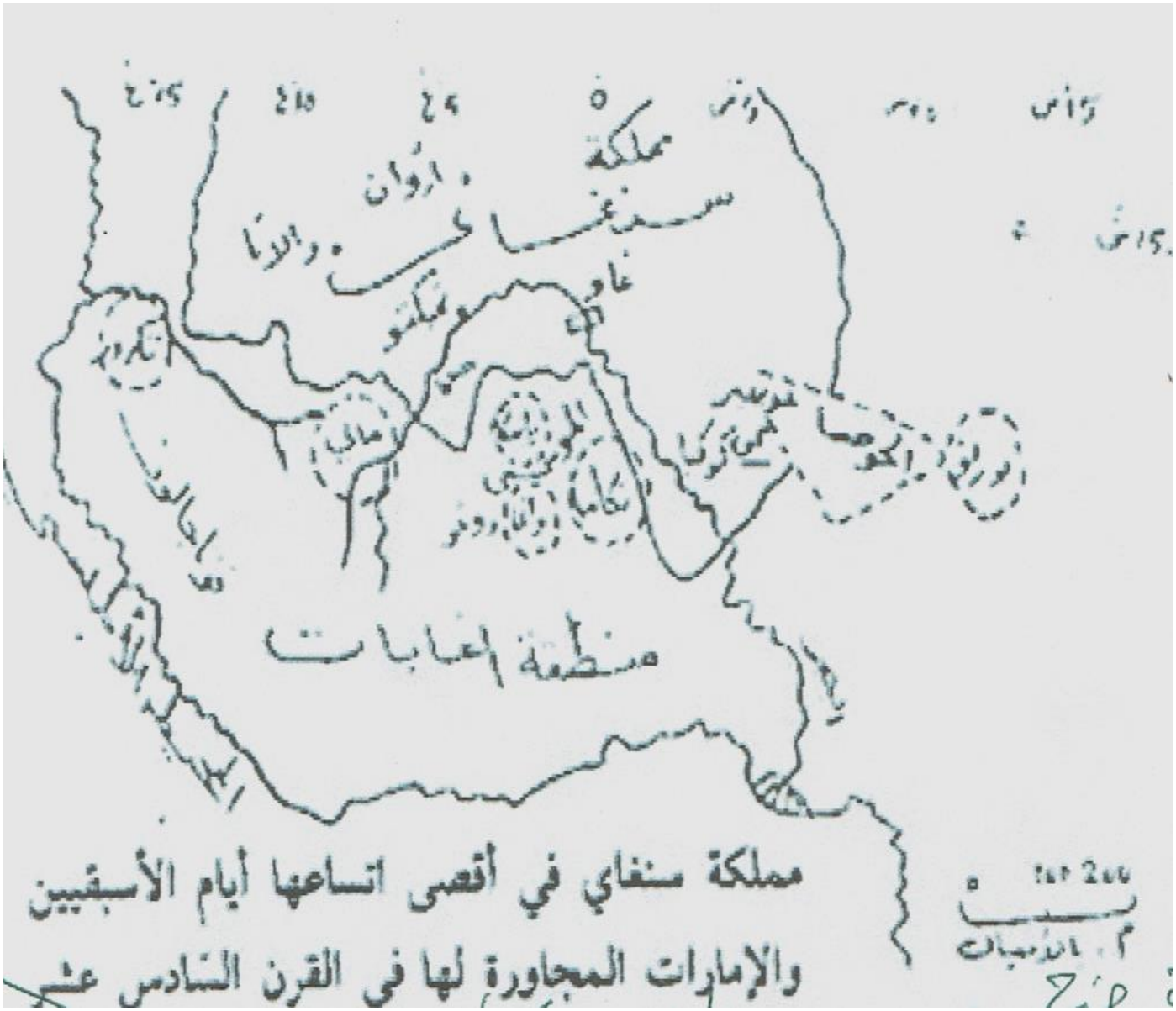

خريطة توضح حدود مملكة سنغاي الإسلامية خلال عهد الأساكي وأهم الإمارات المجاورة لها منها: مملكة الهوسا، الكانم بورنو، ممالك الموسي، تكرور، فوتاجالون.[1]

[1] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص92.

الملحق رقم 03:

جندي في جيش مراكش

(الفرقة الثالثة)

[1]صورة توضح جندي من مرتزقة الجيش المراكشي الذي إجتاح سنغاي .

[1] محمد الغربي ، مرجع سابق ، ص 728.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1.الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، (د ت).

2.البكري ابي عبد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب (المسالك والممالك)، مكتبة المتنى، بغداد،(د ت).

3.التنبكتي أحمد بابا ، معراج الصعود في حكم الاسترقاق، تحقيق وترجمة فاطمة الحران، جون هنويك، (د ط)، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، 2000.

4. التنبكتي أحمد بابا، *نيل الإبتهاج بتطريز الدباج* ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامي ،ط1،منشورات الدعوة الإسلامية ،طرابلس ،1989.

5.حسن الوزان بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ط2، ج2، ترجمة محمد حجي، محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

6. السعدي ،عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر ، تاريخ السودان، (د ط)، باريس،1981.

7.القشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، ترجمة عبد الكريم، (د ط)، مبيعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، (د ت).

8. كعت، محمود بن الحاج المتوكل ، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس، ط1،باريس، 1982.

9. المغيلي ،محمد بن عبد الكريم ، اسئلة الاسقية واجوبة المغيلي، تقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر، 1974.

10. موسى أحمد كامرة الحاج، زهور البساتين في تاريخ السودانيين شعوب غرب افريقيا في التاريخ والاسباب والانثروبولوجيا، (د ط) تقديم وتحقيق ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، مؤسسة عبد العزيز، سعود البابطين الإيداع الشعري، الكويت، 2019.

11. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، ج1، منشورات المكتبة الحيدرية وطبعتها في النجف، (د ت)، 1964. اليفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بإخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشادلي، ط1، (د ن)، الرباط، 1998.

قائمة المراجع:

11.جوزيف كي زيربو ،تاريخ إفريقيا السوداء،تريوسف شلب ،(د،ط)، ج3،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،1998.

22. السماني حسن علي، تطبيق نصوص الفكر الإسلامي في دولة سكوتو الإسلامية، (د ط) هايل لطباعة والنشر والتغليف، الخرطوم، (د ت).

38.إبراهيم حسن حسن، إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربها، (د، ط)، (د، د، ن)،(د،ب)،1957.

1. أ مطير سعدغيث، الثقافة الإسلامية وآثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين (10_11م) (16_17م)، دار المدار الإسلامي، (د ت).
2. إسماعيل ميغا أبو بكر، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية،1997.
3. أمطير غيث سعد، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996.
4. باري محمد فاضل، كردية سعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).
5. بازية عبد الله سالم، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط1، منشورات جامعة 7أكتوبر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010.
6. بانيكار مادهو، الوثنية والإسلام وتاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، تر: وتعليق أحمد فؤاد بلبع، ج2، المجلس الأولى لثقافة، (د ب)، 1998.

7. بريمار باري عثمان، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2000.
8. بواهن أدو ، تاريخ أفريقيا العام. القرن التاسع عشر في أفريقيا، مج6، المشرف على المجلد ج. آدي أجاي، ط1 ، اليونيسكو، باريس،1989.
9. بوعزيز يحي، تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن 16 الى مبلع القرن20، دار حومة لنشر والطباعة، الجزائر، 2011).
10. بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998.
11. الترمانيني عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره ،(د ط)، عالم الكويت، 1979.
12. جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: نختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، لبنان، 1984.
13. حامد رؤوف عباس، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (د ط)، (د د ن)، (د ب)، (د ت).
14. الدالي الهادي مبروك، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، (د ط)،(دن)، (د ب)، (د ت).
15. الدالي الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15إلى بداية القرن 18، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.
16. ديبوا فيلكس، تنبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، ط1، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، 2003.

17. رياض زاهر، المملكة الاسلامية في غرب افريقيا واثارها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، الطبعة الفنية الحديثة، مكتبة المهتدين الاسلامية، القاهرة، 1968.

18. زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقين 1493-1593 في الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).

19. زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، (دراسات ونصوص)، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر، 1989.

20. زبادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، (د ط)، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ت).

21. شعباني نور الدين، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي ،دار الجزائر ،(د،ت).

22. العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

23. عز الدين عمر موسى، دراسات اسلامية في غرب إفريقيا، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، الرياض، (د ت).

24. الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الخليج والطباعة، الصنعاء، الكويت، 1982.

25. الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، ط1، كلية الأدب منشورات جامعة قاربوس، دار الكتب الوطنية، (د ب)، 1989.

26. قداح نعيم، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، تر عمر حكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القوم، (د ب)، (د ت).

27. كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط2، جمعية المؤرخين المغاربة الرباط، مملكة المغربية، 2006.

28. م. ابينبول: نهاية إمبراطورية سنغاي، تاريخ أفريقيا العام (أفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر)، إشراف: أ. أوغوث، (د ط)، اليونيسكو، مج 5، لبنان، 1997.

29. مبروك مقدم، الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن السابع الهجرة والخامس عشر للميلاد، دار الغرب لنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).

30. مجهول، نظام الرق عبر العصور، (د ط) مركز زايد التنسيق والمتابعة، الإمارات العربية السعودية، 2001.

31. محمد موسى فيصل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مراجعة الميلادي المقرجي، منشورات الجامعة المفتوحة، بن غازي، 1997.

32. مرمول كربخال، إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد رنين وآخرون، (د ط)،ج3، دار المعرفة، الرباط، 1989.

33. مصطفى الشعيني محمد، نبجيريا الدولة والمجتمع، (د ط)، دار المهمة العربية، (د ب)،1974.

34. النجري عبد الرحمان، حركة التجارة والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (د ب) 1998.

35. يمودي سيكسيو سكسين، سنغاي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، مج 4، صادر عن اليونسكو، المطبعة الكاثولكية، بيروت، لبنان، 1988.

مقالات:

1. إبراهيم علي طرخان، أسرة الأساكي وذروة مجد إمبراطورية سنغاي أسكيا الأكبر، مج. شعباني نور الدين، مملكة سنغاي في عهد عائلة دا او ديا، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 11، الجزائر 2016.

2. إبراهيم علي طرخان، دراسات في تاريخ إفريقية قبل عصر الاستعمار إمبراطورية سنغاي الإسلامية، مجلة الرياض، كلية الآداب السعودية، مج8، 1981.

3. إسماعيل ميغا ابو بكر، نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك أسكيا، مجلة الدار، مج 2، من العدد الأول إلى العدد الرابع، دار الملك عبد العزيز، (د ب)، 2000.

4. جعفري مبارك، حملة المنصور السعدي على توات في الجزائر 989هـ/1581م وانعكاساتها على الصحراء والسودان الغربي، مجلة السنغالية لدراسات العربية، العدد الخامس، جامعة الشيخ أنتاجور دكار، السنغال، 2018

5. السعيدي رشيدة، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، إمبراطورية سنغاي الإسلامية نموذجا، النشأة والتطور، مجلة الدراسات الاسلامية والاجتماعية، المجلد 2، العدد الأول، 2018

6. سليماني عبد القادر، تجارة الرق في إفريقيا الغربية وانعكاساتها الاستعمارية على السنغال بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر المجلة الناصرية لدراسات الاجتماعية والتاريخية، العددان 5و6، 2015

7. شعباني نور الدين،مملكة سنغاي في عهد عائلة زا أو ديا ،مجلة الدراسات التاريخية والإجتماعية،العدد 11،الجزائر ،2016.

8. على طرخان إبراهيم، دراسات في تاريخ إفريقية قبل الاستعمار، إمبراطورية سنغاي الإسلامية، مجلة الرياض، كلية الآداب، السعودية، مج8،1981 .

9. محمد الذاييات آمنة، أحمد بابا التنبكتي ومنهجه في كتابة نيل الابتهاج بتطريز الدباج، مجلة المشكاة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 3، ال عدد2، (د ب)، 2016.

10. مهند مبيض أحمد، فتاوي المغيلي مصدر تاريخ مملكة سنغاي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج10، العدد 3، 2016.

الرسائل الجامعية:

1. ألفا جالو محمد، الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842-1000هـ، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، 1993.

2. بويكي سكينة، الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، الجزائر، 2003.

3/مولاي أحمد، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي في القرن 9هجري حتى القرن 19م /15هـ18م، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، أحمد بن بلة، 2019/2018.

الفهرس

المقدمة .....(1-4)

الفصل الأول : التطور التاريخي لمملكة سنغاي .....(5)

أولا : التأسيس.....(7)

دراسة طبيعة الموقع الجغرافي .....(8)

ثانيا: أصل عائلة "زا".....(9)

مرحلة التأسيس..... .....(10)

دخول الإسلام إلى جاو .....(12)

ثالثا: عهد الأسقين .....(17)

أ/ مرحلة القوة .....(17)

التنظمات السياسية والإدارية .....(18)

التنظمات العسكرية والقضائية .....(22)

التنظمات الإقتصادية والإجتماعية .....(26)

الثقافة العربية الإسلامية .....(31)

ب/مرحلة الضعف.....(32)

الفصل الثاني: ضعف مملكة سنغاي والإحتلال المغربي.....(34)

أولا: أسباب الضعف .....(35)

أ/ الأسباب السياسية.....(35)

ب/ الأسباب الدينية .....(37)

ج/الأسباب الإقتصادية .....(38)

ثانيا : أزمة الملح وبداية التحرشات المغربية .....(40)

أ/ إعدادات الحملة.....(44)
ب/ سير الحملة .....(45)
ثالثا : نتائج الغزو المغربي .....(48)
أ/ نهب ثروات سنغاي وخرابها الإقتصادي .....(48)
ب/ النتائج الإجتماعية .....(49)
ج/ النتائج العسكرية .....(51)
د/ النتائج الثقافية العلمية.....(52)
الفصل الثالث: تداعيات سقوط سنغاي .....(54)
أولا : سياسيا .....(55)
1/ ظهور ممالك منفصلة عن إمبراطورية سنغاي .....(58)
أ/مملكة الكانم بورنو .....(58)
ب/ مملكة ماسينا .....(59)
ج/مملكة سكوتو .....(60)
ثانيا: بداية الأطماع الأروبية على بلاد السودان الغربي .....(61)
أ/الكشوفات وبداية الإحتكاك الأروبي بغرب إفريقيا .....(61)
ب/ظهور الرق .....(63)
ج/ الإتفاقية .....(65)
ثانيا: إقتصاديا .....(67)
ثالثا: ثقافيا.....(69)
أ/ تصعيد دور البعثات التبشيرية في نشر المسيحية.....(69)

ب/ إتلاف الكتب .....(70)

الخاتمة .....(72)

الملاحق .....(75)

القائمة البيبلو غرافية .....(79)